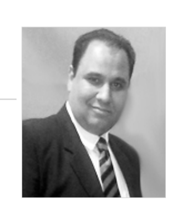


الأعمال المعمارية للأسرة القرمانلية في ليبيا (١١٢٣ - ١٢٥١هـ / ١٧١١ - ١٨٣٥م)

أطروحة ماجستير في الآثار الإسلامية
إعداد: عبد العزيز عبد الفتاح الفضالي
إشراف: أ. د. علي محمود سليمان المليجي
كلية الآداب – جامعة الإسكندرية
مصر ٢٠١١



عرض
عبد العزيز الفضالي
صحفي وخبير في الآثار المصرية
باحث دكتوراه في الآثار والحضارة الإسلامية
الإسكندرية – جمهورية مصر العربية

مقدمة

يعتبر فن العمارة مرآة صادقة تعكس جوانب متعددة من حضارات الشعوب وثقافاتهم التي ظهرت على مر العصور وطوى التاريخ صفحاتها لتظل المباني القديمة بمثابة شواهد على تلك العصور وتصل الماضي بالحاضر من خلال تواجدها وتتحدد شخصية المدن من الطوابع المعمارية التي تضمها المدن فتكسبها صفة التمييز نتيجة طوابعها المعمارية عن المدن الأخرى أو تعطيها صفة الاشتراك مع البعض الآخر في الصفات المعمارية لمبانيها. وتعتبر مدن ليبيا من بين المدن التي تخللتها الطوابع المعمارية المختلفة. وانطلاقًا من هذه الزاوية يتحدد لنا نوع من أنواع هذه الطوابع والذي حصرناه في الطابع أو الفن العثماني في المدينة الذي يؤدي بنا حتمًا إلى البحث عن مكوناتها وكيف تمركزت المنشآت القرمانلية العثمانية فيها. ورغم أن بعض مدن ليبيا قد حظيت ببعض الاهتمام من حيث الوصف الذي تقدمه لنا مصادر التاريخ ونصوصها وبعض النصوص الحديثة، فإن الاهتمام بالتفاصيل المعمارية للمنشآت من زاوية أثرية بقي ناقصًا، ولم تعط له الأهمية الكبيرة لدرجة تكاد تكون الدراسات حول هذا الموضوع معدومة.

أهمية اختيار الموضوع

على الرغم من أن مدن ليبيا لم تكن بمستوى المدن المغربية الأخرى، إلا أن تاريخ تلك المدن كان حافلاً بعدة أحداث تاريخية عكست بالتالي واقعًا ثقافيًا واقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا وعمرانيًا ميزها عن باقي المدن في بلاد المغرب لاسيما أنها في فترة من فترات التاريخ طُبعت معماريًا بطابع العمارة المحلية ذات النمط العثماني والذي احتوى على مكونات معمارية تعددت فيها تقنيات ومواد البناء. حيث لم يتطرق الباحثون المختصون في المجال الأثري إلى مثل هذه التفاصيل الدقيقة للتعريف بالمنشآت الليبية وتصنيفها خلال الفترة القرمانلية، وإن وجدت بعض الإشارات فإنها لا تعدو أن تكون بسيطة وغير متخصصة، لا تصل إلى النتائج التي يصبو الأثري لتحقيقها، ومنها إشارات في كتاب المعمار الإسلامي في ليبيا (Ghaspery Misana) الأثري الإيطالي الذي عاش في ليبيا في أواسط القرن العشرين.

إن اختيار دراسة الفترة القرمانلية في مدن ليبيا ناتج أساسًا عن رغبة ملحة في كشف بعض اللبس عن هذا الجانب من العمارة، باعتبار أن بقايا هذه الفترة لم تدرس في كثير من جوانبها التي لعبت دورًا مهمًا في المجالات الحيوية للدولة القرمانلية. وأثناء المعاينة الميدانية التي قمت بها في المدن وبعد الاطلاع على بعض الدراسات حولها، تبين لي النقص الكبير في دراسة المنشآت القرمانلية في ليبيا، مما دعاني إلى محاولة معالجة ذلك النقص ولو بالقسط اليسير. لقد انصب اهتمام الباحثين في تاريخ الدولة القرمانلية حول الجوانب السياسية والاقتصادية حيث أحاطوا الموضوع من جميع جوانبه، غافلين بذلك عن الجانب الثقافي والفني والمعماري لهذه الدولة وتعاني هذه الجوانب من فراغ ملحوظ في المصادر والمراجع.

وقد اعتمدت على كثير من المصادر والمراجع الخاصة بهذا الموضوع، فضلاً عن الدوريات والرسائل الجامعية، كما اعتمدت في هذه الدراسة على المعاينة الميدانية للعمائر القرمانلية، وقد ساعدني على إتمام ذلك الموضوع ثقافتي الشخصية حول التاريخ الليبي، بالإضافة إلى علاقاتي مع الجالية الليبية في مصر؛ وكذلك ترددي الدائم على المركز الثقافي الليبي في القاهرة، واطلاعي على مكتبة المركز التي تحتوي على العديد من الدراسات الآثرية والتاريخية، نذكر منها رسالة ماجستير حول المنشآت الدينية في طرابلس، وقد اطلعت عليها واستفدت منها، بالإضافة إلى رسالة ماجستير بجامعة المرقب الليبية حول المدارس في ليبيا، أما عن الدراسات الأجنبية فهناك بحثان للمستشرق الإيطالي سلفاتوري أوريجيما عن جامعي القرمانلي وقرجي.

أما عن الرسالة موضوع البحث فقد تناول فيها الباحث المنشآت الدينية، موزعة على الأقاليم الليبية والتي كانت خاضعة للنفوذ

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449



القرمانلي، وقد عرض الباحث لمنشآت من طرابلس، مصراتة، زليتن، الزاوية، جنزور، الخُمس، ترهونة، الجبل الغربي، بني غازي، بني وليد، الرياينة، وتينيناي، وبذلك يكون الباحث قد خرج في بحثه لأول مرة في الدراسات الأثرية الإسلامية في ليبيا خارج حدود طرابلس، هذا بالإضافة إلى المنشآت المدنية في كل أنحاء ليبيا خلال هذا العصر والمنشآت المدنية التي تمت دراستها مقسمة إلى منشآت تجارية وسكنية، وبذلك يكون الباحث قد تعرض للمنشآت السكنية وطرزها المحلية لأول مرة في الدراسات الأثرية الإسلامية في ليبيا.

فصول الدراسة

الفصل الأول: (اسم ليبيا وجغرافيتها وتاريخها)

تناول هذا الفصل التعريف بجغرافية ليبيا وأقاليمها، وكذلك تم عرض تاريخ ليبيا منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة القرمانليه.

الفصل الثاني: (المساجد والجوامع في العصر القرمانلي)

وفي هذا الفصلعرض الباحث موضوع المسجد والجامع الليبى وتميزه المعماري ومراحل تطوره.

الفصل الثالث: (المدارس والزوايا)

وتعرض الباحث في هذا الفصل لفكرة إنشاء المدرسة، وتعرض للمدارس الليبية وعلاقتها بالزوايا الليبية.

الفصل الرابع: (المنشآت التجارية)

تعرض الباحث في هذا الفصل للمنشآت التجارية في ليبيا وأنواعها وتخطيطها.

الفصل الخامس: المنشآت السكنية

تعرض الباحث في هذا الفصل إلى البيت الطرابلسي وبيوت السكن المصراتية، وبيوت الحفر بغريان، والمباني السكنية في نالوت، والبيت الغدامسي.

الفصل السادس

العناصر الزخرفية الموجودة على بلاطات القاشاني والرخام والحجر والخشب

وتعرض الباحث في هذا الفصل إلى العناصر النباتية والعناصر الهندسية، والعناصر الكتابية، والحليات المعمارية، وزخارف الكائنات الحية، والعناصر الزخرفية الموجودة على بلاطات القاشاني، والعناصر الزخرفية الموجودة على الرخام، والعناصر الزخرفية الموجودة على الحجر، والعناصر الزخرفية الموجودة على الخشب، وكذلك التأثيرات المختلفة على العناصر الفنية والزخرفية. ثم أتبعت الدراسة بخاتمة البحث حيث تم عرض أهم ما توصل إليه البحث، كما ألحقت بالبحث مجموعة من الثبت وكذلك ملحقًا بالوثائق بالإضافة إلى كتالوج اللوحات والأشكال.

مصادر ومراجع الدراسة

اعتمد الباحث على مجموعة كبيرة من الوثائق والمصادر والمراجع.

أولاً: الوثائق

جميع وثائق هذه الفترة محفوظة في مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي في طرابلس، بعض الوثائق منشور والبعض الأخر غير منشور. وقد اعتمد الباحث على مجموعة كبيرة من الوثائق أفادته في كتابة هذا البحث، وإن لم يكن قد رجع إليها بشكل نصي، ولكنها أثرت في تكوين الخلفية التاريخية والحضارية حول هذه الفترة. ومن أهم الوثائق التي استعان بها الباحث الرسائل المتبادلة بين حكام القرمانليين وبين الدولة العثمانية وحكام أوروبا وتونس، وكذلك رسائلهم إلى ولاتهم وقواتهم؛ كذلك استطاع الباحث العثور على ثلاثة بيانات بأسماء الطلبة الليبيين المواظبين على الدراسة في جامع الزيتونة في العصر القرمانلي.

وكذلك استطاع الباحث العثور على وثيقة بجدول واردات الأوقاف الخاصة بزوايا زليتن في العصر القرمانلي؛ كما استطاع الباحث أيضًا العثور على وثيقة بجدول مصروفات الأوقاف الخاصة بزوايا زليتن في العصر القرمانلي. كذلك وثيقة بأمر إعفاء زاوية الباز من الضرائب، وتعود لعصر الأسرة القرمانلية، هذا بالإضافة إلى وثيقة خاصة بوقفية جامع أحمد باشا القرمانلي، ووقفية مصطفى قرجي على جامعه ومدرسته، هذا بالإضافة إلى العديد من الوثائق التاريخية والتي قام الباحث بنسخ بعضها بخط اليد، وتصوير البعض الأخر.

ثانيًا: المصادر

وقد استفاد الباحث كثيرًا من المصادر العربية القديمة، ونذكر من أهم المصادر:

ابن غلبون؛ وهو محمد بن عبد الرحمن بن خليل بن غلبون.

"تاريخ طرابلس الغرب المسمى، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار" وهذا الكتاب يؤرخ لحكم الأسرة القرمانلية في عصر أحمد باشا الأول، وكان مؤلفه مقربًا من الأسرة القرمانلية، وهو أول مَنْ لقب أحمد باشا القرمانلي بلقب أمير المؤمنين، وكان ابن غلبون من أعلام مصراتة وساعده أحمد باشا في بناء جامعه. وقد اعتمد الباحث على الطبعة الثانية، مطبعة النور، طرابلس، ليبيا، ١٩٦٨م.

"المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب"

"نفحات النسرين والريحان فيمَنْ ملك طرابلس وما كان بها من الأعيان"

والمؤلفان السابقان لمؤلف واحد عاش في القرن التاسع عشر الميلادي، وهو "أحمد النائب الأنصاري". وطبع الكتابين برخص نظارة المعارف الجليلة بدار الخلافة العليا تحت رقم (٧٣٨)، (٧٣٩) لسنة ١٣١٧ هـ / ١٨٩٨م، وأعيد طبع الكتابين بعد ذلك في ليبيا، وقد اعتمد الباحث على النسخ الجديدة.

"اليوميات الليبية من ١٥٥١ . ١٨٣٥م"

ومؤلف هذا الكتاب هو "حسن الفقيه حسن" مؤرخ ليبي عاش في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، وتوفي في سنة ١٨٦٨م، وهذا

الكتاب عبارة عن يوميات لكثير من الأحداث الليبية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد امتاز حسن الفقيه بكونه شاهد عيان على أحداث الدولة القرمانلية، فقد كان له شبكة علاقات واسعة مع رجال الدولة، وقد أعاد مركز جهاد الليبيين نشر تلك اليوميات في جزأين.

"الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد الطوارق"

هذا الكتاب من أدب الرحلات لرحالة تونسي "محمد بن عثمان الحشائشي"، توفي ١٩١٢م، وقد وضع هذا المؤلف جزءًا ثانيًا لهذا الكتاب وهو "جلاء الكرب عن طرابلس الغرب"، وقد وصف فيهما المؤلف سكان وعادات وأوضاع المدن الليبية مثل مرزق وبنغازي ومصراتة.

"عشر سنوات في طرابلس"

هذا الكتاب عبارة عن مذكرات خاصة أو مجموعة من الرسائل كتبتها شقيقة المستر ريتشارد توللي؛ القنصل الإنجليزي في طرابلس في الفترة (١٧٨٣ . ١٧٩٣م)، وقد كانت بين أسرة القنصل والأسرة القرمانلية صداقة حميمة، بالإضافة إلى أن الآنسة توللي كانت شاهد عيان على واقعة قتل يوسف القرمانلي لشقيقه حسن، والنسخة التي اعتمد عليها الباحث ترجمة عمر الديراوي بو حجلة، مكتبة الفرجاني، طرابلس الغرب، لسنة ١٩٧٦.

"الحوليات الليبية"

مؤلف هذا الكتاب هو "شارل فيروه" القنصل الفرنسي في طرابلس في الفترة ما بين (١٨٧٨ . ١٨٨٤م)، وقد وضع مؤلفه خلال تلك الفترة، وقد استغل منصبه في الاطلاع على الوثائق والرسائل المهمة، وهو ما ساعده على وضع هذا المؤلف، والنسخة التي اعتمد عليها الباحث ترجمة وتحقيق محمد عبد الكريم الوافي، المنشأة العامة للنشر، ط٢، طرابلس ليبيا، ١٩٨٣م.

"إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعصر الأمان"

مؤلف هذا الكتاب هو "أحمد بن أبي الضياف"، وهو من أعلام تونس في القرن التاسع عشر الميلادي، وتوفي في ١٨٧٤م، وقد اهتم في مؤلفه هذا بالمحنة القرمانلية وهجرة الأسرة إلى تونس أثناء أزمة علي برغل.

"من طرابلس إلى فزان"

هذا الكتاب من أدب الرحلات؛ وضعه الرحالة الفرنسي "جون فرانسيس ليون" الذي زار ليبيا في نوفمبر ١٨١٨م، وقضى هذا الرحالة في ليبيا مدة عامين؛ زار خلالهما العديد من المدن والمناطق الليبية، وقدم صورة عن الأحوال في تلك الفترة، والنسخة التي اعتمد عليها الباحث ترجمة مصطفى جودة، الدار العربية للكتاب، زوارة، ليبيا، ١٩٧٦م.

ثالثا: المراجع

"ليبيا منذ الفتح العربي وحتى سنة ١٩١١ م"

"طرابلس تحت حكم الأسبان وفرسان مالطة"

وهذان الكتابان لمؤلف مستشرق إيطالي هو "إتوري روسي"؛ والكتابان اللذان اعتمد عليهما ترجمة خليفة محمد التليسي، مؤسسة الثقافة الليبية، طرابلس، الجماهيرية العظمى، ١٩٨٩م.

"طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي"

هذا الكتاب لمستشرق إيطالي هو "رودلفوا ميكاكي"، وهو من المراجع المهمة، قام مؤلفه بتأليفه أثناء وجوده في ليبيا في سنة ١٩١٩م، ترجمة طه فوزي، معصر الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٦١م.

"الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية"

ومؤلفه "عزيز سامح الترّ"، وقد تضمن هذا الكتاب معلومات مهمة عن تاريخ طرابلس وتونس، وقد اعتمد الباحث على الجزء الأول، ترجمة عبد السلام أدهم، ط١، دار لبنان، بيروت، ١٩٦٩م.

"طرابلس (١٥١٠ – ١٨٥٠م)"

مؤلفه هو "كوستانزيو برنيا"، وقد عاش في ليبيا في الفترة (١٩١١ . ١٩٣٩م)، وكان مبشرًا في إرسالية الفرنسيسكان في طرابلس، ويمتاز هذا الكتاب بغناه بالوثائق الأجنبية، وقد اعتمد الباحث على النسخة الليبية ترجمة محمد خليفة التليسي، دار الفرجاني، طرابلس، الجماهيرية العظمى ١٩٩٠م.

"المعمار الإسلامي في ليبيا" - الطبعة الثانية

ألفه دكتور مهندس غاسبري ميسانا ترجمة علي الصادق حسنين، طرابلس ١٩٩٨م، يعتبر هذا الكتاب من الكتب القيمة التي كتبها أحد المستشرقين وهو الإيطالي غاسبري ميسانا، وقد تم تقسيم الكتاب إلي قسمين كبيرين احتوى كل منهما على عدة فصول، عالج كل فصل موضوعًا بعينه.

أما **القسم الأول** فجاء تحت عنوان المميزات الأساسية للفن المعماري الإسلامي في ليبيا، وتناول المؤلف في التمهيد لهذا القسم نبذة عن فن العمارة الإسلامية وكيفية نشأته وتطوره وطراز المساجد التقليدية وظهور طراز المساجد المختلفة وصولاً إلي الطراز العثماني، ثم تحدث عن العمارة الإسلامية في ليبيا وبدايتها، وفي الفصل الأول من هذا القسم تحدث عن العمارة الدينية في ليبيا وهي المساجد وتكوين المسجد الليبي وعناصره، وتحدث بعد ذلك عن الزوايا وبعد ذلك تناول المدافن وعمارتها. أما الفصل الثاني فتحدث فيه عن العمارة المدنية وأطلق عليها العمارات ذات الاستعمال الجماعي مثل المدارس والحمامات والفنادق (الخانات أو الوكالات التجارية)، والفصل الثالث تحدث فيه عن القلاع والأبراج، وتناول في الفصل الرابع المنزل الليبي، أما الفصل السادس فتحدث فيه عن تخطيط المدن.

والقسم الثاني أيضًا يبدأ بمقدمه عن العمائر الأثرية الإسلامية في ليبيا، وتحدث فيها عن أنواع المساجد الأثرية وقسمها إلي نوعين الأول تحت عنوان المساجد المسقوفة بقبيات من النوع الليبي وتناول أمثلة لها مثل جوامع الخروبة، وسيدي طورغود، وجامع الناقة وجامع محمد باشا، وجامع أحمد باشا القره مانليه، وجامع قرجي،

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

والجامع الكبير في درنه، والنوع الثاني من المساجد الليبية جعله تحت عنوان "أنواع أخري من المساجد" وهي ذات أشكال أو أنماط مختلفة منها مسجد حجرة ويقصد به المسجد ذو المساحة المستطيلة أو المربعة والمغطي بسقف خشبي مسطح يرتكز علي دعائم وهو الشكل التقليدي للمساجد الأولى، ومساجد أخري ذات قبوات (أقبية) مستطيلة مثل جامع مراد آغا في تاجوراء، ومساجد أخرى من النوع (الطراز) العثماني وأعطي مثالين وهما جامع عثمان الشهير بجامع بوقلاز، والجامع العتيق وهما في مدينة بنغازي. وبعد أن انتهي من المساجد تناول المقابر الأثرية في ليبيا (المدافن والروضات)، و تناول بعدها الزوايا، وأنهي المؤلف كتابه بخاتمة موجزة عن المعمار الإسلامي في ليبيا وأشار إلي بعض مظاهر التأثير العثماني في بعض العمائر الليبية في القرن السادس عشر الميلادي، ويحتوي الكتاب في نهايته علي معجم صغير يحتوي علي الألفاظ والمصطلحات الفنية والمعمارية بالكتاب وهي بالإيطالية والعربية.

وكما سبق القول؛ فهذا الكتاب له قيمة علمية كبيرة حيث أنه كان أول كتاب شامل يتناول العمارة الإسلامية في ليبيا وذلك عندما ظهرت طبعته العربية لأول مرة سنة ١٩٧٤م، أيضًا احتوى الكتاب على الكثير من التخطيطات، والأشكال التوضيحية ما بين مسقط أفقي وقطاع رأسي، وكذلك نحو سبع وخمسين لوحة، بالإضافة إلي المادة العلمية التي يحتويها الكتاب، ولكن هناك بعض الأمور نحب الإشارة إليها ونحن بصدد الكتابة عن هذا الكتاب وعرضه، من ذلك أن المؤلف أشار بشكل مقتضب إلي التأثير العثماني القوي في العمارة الليبية ولم يعط هذا الوجود الفني العثماني حقه، بل نجده يحاول أن ينسب أسلوب تغطية المساجد الليبية بقباب صغيرة متجاورة . وهو الطراز المعروف بطراز "أولو جامع". إلي البيئة المحلية أو أنه استحدث إبان العصر العثماني في الولايات العربية التي حكموها، وهذا بطبيعة الحال غير صحيح فهو طراز عثماني ظهر في تركيا ومنها انتقل إلي بقية الولايات التابعة لها.

وهناك أمثلة كثيرة لهذا الطراز في المدن العربية مثل القاهرة وطرابلس غرب وتونس، أيضًا ذكر المؤلف مثالين فقط رأي أنهما تأثرا بالطراز العثماني في حين أن هناك أمثلة كثيرة في طرابلس الغرب وبنغازي يظهر فيها بوضوح التأثير المعماري والزخرفي العثماني، وقد تعرضنا لها خلال دراستنا، ولا نعرف السبب وراء ذلك فربما رأي المؤلف أن العمائر الليبية بسيطة وصغيرة الحجم مقارنة بالأمثلة العثمانية الضخمة في إستنبول وبعض الولايات العربية ولكن هذا يرتبط بطبيعة المجتمع في طرابلس غرب زمن العصر العثماني من حيث الإمكانيات المادية والخبرات البشرية والتراكم الحضاري والفني والتقني الإنشائي، كل ذلك عوامل تؤثر في العمائر ولكنها في النهاية عمائر ليبية محلية متأثرة بالتقاليد والطراز العثمانية. وربما كان المؤلف يضمر عداء داخليًا للأتراك العثمانيين –كمستشرق غربي إيطالي– فلم يحاول أو يبرز الدور الفني العثماني بشكل موضوعي في كتابه، وهذا الأمر شاهدنا من قبل في كتابات بعض المستشرقين، لكن هذا لا يقلل من قيمة المادة العلمية لهذا الكتاب.

"الفنون الإسلامية في العصر العثماني"

مكتبة زهراء الشرق - القاهرة ٢٠٠١، دكتور ربيع حامد خليفة.

من الكتب المهمة التي صدرت عن الفن العثماني، وقد تناول فيه المؤلف بالدراسة والتحليل الفنون الإسلامية خلال العصر العثماني من خزف ومعادن وأخشاب ونسيج وسجاد وزجاج. وقد عرض لأمثلة كبيرة ودرسها دراسة وافية موضحًا أساليب صناعتها وكذلك الأساليب الزخرفية والتأثيرات الفنية إن وجدت، وقد زود الكتاب بمجموعة من اللوحات تمثل مختلف أنواع التحف الفنية العثمانية، وقد اعتمدنا بصفة خاصة علي الفصل الأول من هذا الكتاب الذي تناول فيه المؤلف بالدراسة والتحليل صناعة من أهم الصناعات والفنون وهي صناعة البلاطات والأواني الخزفية حيث استعرض هذا الفن قيام الدولة العثمانية وتحديدًا في عصر السلاجقة في الأناضول، وأوضح كيفية انتقال بعض الأساليب الصناعية والزخرفية إلي الأتراك العثمانيين، وقسم التحف الخزفية إلي بلاطات خزفية وأواني خزفية، وتحدث عن تحف كل فترة زمنية علي حدة مع ذكر أمثلة لكل مرحلة، مع الإشارة إلي أهم مراكز هذه الصناعة لاسيما مدينة إزنيك وكوتاهية، ومن المعروف أن البطات الخزفية قد استخدمت علي نطاق واسع في تكسية الجدران خلال العصر العثماني، وانتقال هذا التأثير إلي مختلف الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية بل إن بعض المدن الصناعية مثل إزنيك كانت تمد بعض الولايات بما تحتاج إليه من بلاطات خزافية التي كانت تستخدم في تكسية جدران عمائرها وبعض المحاريب، وهذا ما شهدناه في بعض عمائر تونس والجزائر خلال العصر العثماني.

ومن المعروف أن المكتبة العربية تعاني بشدة من قلة المراجع والكتب الحديثة في مجال الدراسات العثمانية سواء المعمارية أو الفنية، وخاصةً تلك المتعلقة بعمائر وفنون الدولة العثمانية في تركيا، ومن ثَمَّ فهذا هو الكتاب يعد إضافة حقيقة ومهمة الدراسات الأثرية والفنية العثمانية.

"طرابلس الغرب، دراسة في التراث المعماري والفني"

مكتبة دار الآفاق العربية ، القاهرة ٢٠٠٤م ، دكتور صلاح أحمد البهنسي.

من أحدث الكتب التي صدرت مؤخرًا عن أحد مدن الشمال الأفريقي وهي مدينة طرابلس الغرب في ليبيا، ويتناول المؤلف في هذا الكتاب وضع المدينة ونشأتها ومراحل ازدهارها وأهم الأحداث التي مرت بها، وأثر ذلك علي تراثها الفني والحضاري، ففي الفصل الأول تناول المؤلف مدينة طرابلس من عصر الغزو الفينيقي حتى الاحتلال الإيطالي في العصر الحديث (١٩١١م)، مرورًا بالفتح العربي الإسلامي للمدينة والعصور الإسلامية التي مرت عليها حتى سيطر عليها الأتراك العثمانيين بعد أن استجد سكانها بالدولة العثمانية لتخليصهم من

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

الاعتداءات الأوربية على بلادهم، ويمثل العصر العثماني فترة طويلة في ليبيا، وجرت العادة علي تقسيم هذا العصر إلي العصر العثماني الأول واستمر من سنة ١٥٥١م حتى سنة ١٧١١م، وأعقب ذلك قيام حكم الأسرة القرمانلية نسبة إلي رأسها أحمد باشا القرمانلي ويمتد عصر هذه الأسرة من سنة ١٧١١م حتى سنة ١٨٣٥م، وبعد ذلك يبدأ العصر العثماني الثاني الذي استمر حتى مجيء الاحتلال الإيطالي سنة ١٩١١م، ومما لا شك فيه؛ أن التواجد التركي العثماني قد ترك بصمته الواضحة على مظاهر الفن والعمارة في طرابلس الغرب وغيرها من المدن الليبية الأخرى، وتحدث المؤلف بعد ذلك في الفصل الثاني عن الآثار القديمة في مدينة طرابلس وذلك بشكل موجز، وفي الفصل الثالث تناول العمارة الدينية الإسلامية في مدينة طرابلس الغرب وتميزها عن غيرها من مدن ليبيا بكثرة مساجدها التي ترجع إلي العصر العثماني الأول وعصر الأسرة القره مانلية والعصر العثماني الثاني، وأشار إلي أن هذه النهضة المعمارية والفنية في المدينة كانت انعكاسًا لازدهار المدينة خلال العصر العثماني وتحولها إلي قاعدة بحرية للأسطول مما أدي إلي ورود المكاسب والمغانم الكثيرة على المدينة، وقد أدى توفر الإمكانيات المادية إلي الاهتمام بحركة التعمير وتشييد العمائر.

وتناول المؤلف بعد ذلك المساجد الجامعة في المدينة مثل جامع درغوت باشا (طور غور)، وجامع الناقة، وجامع سيدي سالم المشاط، وجامع شائب العين، وجامع أحمد باشا القرمانلي، وجامع قورجي، وتحدث بعد ذلك عن المساجد الصغيرة في المدينة، ثم تناول بعد ذلك المدارس في طرابلس الغرب وطرازها، وتخطيط المدرسة في العمارة الليبية وأعطى بعض الأمثلة للمدارس العثمانية مثل مدرسة عثمان باشا الساقزلي وأنهي هذا الفصل بالحديث عن الخصائص المميزة للعمارة الدينية في طرابلس، والتأثيرات الفنية والمعمارية في العمارة بطرابلس وهي متنوعة ما بين تأثيرات تونسية وتركية عثمانية وأوربية والفصل الرابع خصص للعمارة المدينة بطرابلس مثل المنازل وتخطيطها في المدينة، والحمامات والمنشآت التجارية كالأسواق والوكالات أو الفنادق الأثرية، أما الفصل الخامس فقد تناول فيه العمارة الحربية بطرابلس من قلاع وأسوار وغير ذلك، أما الفصل السادس والأخير فكان عن متاحف مدينة طرابلس.

"التأثيرات العثمانية على العمارة والفنون الإسلامية في ليبيا منذ بداية العصر العثماني الأول وحتى نهاية العصر العثماني الثاني" (٩٥٨ - ١٣٣٠ هـ / ١٥٥١ – ١٩١١م)

مقال في كتاب أعمال المؤتمر الثاني لمدونة الآثار العثمانية في العالم، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، تونس ١٩٩٨، دكتور صلاح أحمد البهنسي.

يتناول هذا المقال التأثيرات العثمانية في العمارة والفنون الإسلامية في ليبيا خلال العصر العثماني بها، وهي فترة زمنية طويلة قسمها المؤرخون إلي فترتين العصر العثماني الأول والثاني وبينهما فترة حكم الأسرة القرمانلية، واستمرت مظاهر التأثير العثماني أيضًا خلال حكم الأسرة القرمانلية حيث كانت هي الأخرى أسرة حاكمة تركية، وبعد أن تناول المؤلف في مقدمة المقال ظاهرة التأثيرات الفنية في عمارة وفنون بلدان شمال أفريقيا، ومحاولة رصد هذه التأثيرات التركية من خلال دراسة أنماط التخطيط المعماري في المجمعات المعمارية والمدارس والأضرحة والمدافن، والأزوقة الأمامية أو السقائف التي تتقدم الجوامع "بيوت الصلاة "، وخلال الحديث عن هذه العناصر حاول المؤلف تحليل التخطيطات وتأصيلها مع النماذج التركية خارج ليبيا وتحديدًا في بلاد الأناضول.

وانتقل بعد ذلك للحديث عن طراز أو نظم التغطية في العمائر الليبية العثمانية وهي متنوعة فهناك عمائر غطيت بقبة كبيرة واحدة، وأخرى غطيت بقباب متعددة متساوية وهو طراز عرفته العمارة العثمانية منذ فترة مبكرة، وأهم أمثلته جامع أولو جامع (الجامع الكبير) في مدينة بورصة، وأسكي جامع في أدرنه وغير ذلك من الأمثلة بمدن تركيا المختلفة. وهناك عمائر غطيت بقبة مركزية وقباب أخرى صغيرة حولها، وتناول المؤلف بعد ذلك المآذن الليبية في العصر العثماني واستخدامها لطراز المآذن المثمنة والأسطوانية وهي طراز عثماني.

وبعد أن تحدث عن عناصر التخطيط وأشكال العمائر ووسائل التغطية والمآذن تحدث المؤلف في الفقرات الأخيرة من مقالة عن الزخارف المستخدمة في عمائر ليبيا العثمانية خاصةً تلك التي يتضح بها التأثير العثماني مثل الإكساءات الخزفية التي كانت تكسو جدران بعض الجوامع الليبية، وأيضًا استخدام البلاطات الخزفية في تكسية حنايا بعض المحاريب وخاصةً المناطق السفلية منها. وأخيرًا تناول العناصر الزخرفية التي شاعت في زخارف العمائر الليبية العثمانية والتي استمدت الكثير من الفن العثماني، سواء زخارف بنائية أو هندسية. وقد أشار المؤلف إلى ظاهرة مهمة وهي تركز مظاهر التأثير الفني والمعماري العثماني في طرابلس الغرب وبعض المدن الليبية المطلة على ساحل البحر المتوسط مثل بنغازي ودرنة، وهي الأماكن التي كان بها التواجد العثماني بشكل كبير.

"طرز المساجد الليبية في العصر العثماني"

مقال في كتاب المؤتمر الرابع للآثاريين العرب، القاهرة (١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١م)، دكتور عبد الله كامل موسي.

يبدأ هذا المقال بمقدمة صغيرة عن وضع ليبيا قبل الفتح العثماني، وبعد ذلك تحدث عن العصر العثماني وأنه ينقسم إلي فترات وهي العصر العثماني الأول (١٥٥١ – ١٧١١م)، وعصر الأسرة القرمانلية (١٧١١ – ١٨٣٥م)، وأخيرًا العصر العثماني الثاني (١٨٣٥ – ١٩١١م)، وقد قسم المؤلف المساجد الليبية المتبقية من العصر العثماني إلي خمسة طرز وفقًا لرؤيته الخاصة وذلك حسب وضع واتجاه البلاطات داخل هذه الجوامع علي النحو التالي:

- تخطيط بوائك البلاطات موازية وعمودية في آن واحد بالنسبة لجدار القبلة.
- تخطيط بوائك البلاطات عمودية علي جدار القبلة.

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449



- التخطيط التقليدي العثماني (القسم المغطي والحرم).
- التخطيط ذو القبة المركزية والقباب الرنية (دون البلاطات).

وبعد ذلك التقسيم شرع في وصف بعض المساجد وصنفها وفق هذا التصور أو الطراز كما أطلق عليها المؤلف وحاول بينها وبين الطراز العثمانية الأصلية.

خاتمة

اتضح من دراسة عمائر القرمانليين العديد من الأمور المرتبطة بتاريخها وطرزها المعمارية وزخارفها. فقد أوضحت الدراسة التاريخية سوء الأوضاع التي كانت عليها ليبيا قبل قيام الدولة القرمانلية من ضعف الولاة وثورات داخلية وتهديدات خارجية بسقوط الساحل الليبي في قبضة الأوروبيين وأوضحت الدراسة التاريخية والحضارية للعصر القرمانلي أن الأسرة القرمانلية قد استمدت قوتها من تجمع رجال القبائل حول أحمد باشا وتمسكهم به. وأوضحت الدراسة التاريخية أن حكم القرمانليين استمر ما يقرب من مائة وخمسة وعشرين عامًا استطاعوا خلالها وضع خريطة ليبيا الحديثة، فضمت إلى طرابلس الواحات الداخلية وبرقة وفزان وزليتن، واعتمد أمراء تلك الأسرة على اللغة العربية بجانب اللغة التركية، ويظهر ذلك في وثائقهم. لعبت ليبيا في العصر القرمانلي دورًا مهمًا في السياسة الدولية وكان الباشا القرمانلي هو سيد البحر المتوسط بلا منازع، ووصلت الهدايا إلى أمراء القرمانليين من حكام أوروبا. وظهرت ليبيا بمظهر الدولة المستقلة؛ فتحالفت مع فرنسا أثناء حملة نابليون على مصر، ودخلت ليبيا في حرب منفردة مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وكذلك تحدثت الدراسة عن الحياة الثقافية في ليبيا القرمانلية والعلاقات الثقافية مع تونس الحفصية، فأوضحت الرسالة دور الكتاتيب والزوايا في ازدهار الحياة العلمية والثقافية وكذلك دور رحلات العلم والحج، وتعرضت الرسالة لنوعية التعاون الثقافي المتمثل في الإيجازات العلمية كما أوردنا أسماء العديد من رموز الثقافة في ذلك العصر. ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، وانهارت الدولة بفعل الصراعات الأسرية بين أبناء علي باشا الأول، ثم حاولت الدولة الصمود بعد مشكلة علي برغل وذلك على يد يوسف باشا ولكن ظهرت الصراعات الأسرية مرة أخرى بين أبناء يوسف باشا. ثم ما لبثت أن عادت ليبيا إلى الحظيرة العثمانية وخلفت لنا تلك الأسرة منشآت عظيمة (جوامع، مدارس، وزوايا) تناولناها بالدراسة التفصيلية والتأصيلية. وقد أوضحت الدراسة الإتقان و التنوع في مصادر مواد البناء المستخدمة في العمارة المدنية والدينية كان السمة الأبرز في مباني المدن الليبية، وخاصةً طرابلس، وهو أيضًا ما ميزها عن غيرها من المباني الموجودة خارج أسوار المدن، ويعود السبب في ذلك إلي أن المنطقة المحددة بالأسوار كانت دومًا محط اهتمام من حكم المدن منذ العصر البيزنطي وحتى نهاية العصر العثماني.

ولما كانت ليبيا فقيرة إلي حد ما بالمواد الجيدة والملائمة لطموح المشرفين على أعمال البناء في العصر العثماني بالذات من باشاوات وحكام، وذلك بإنشاء مباني تليق بمكانتهم ، فإنهم حرصوا على إيجاد مصادر أخري لمواد البناء ، وقد بحثوا عنها سواء داخل البلاد أو خارجها مما انعكس بالتالي على مبانيهم فجاءت على درجة عالية من المتانة مكنتها من الصمود في وجه العوامل المؤثرة. ومن جهة أخرى؛ فإن المباني خارج أسوار المدن غالبًا ما كانت تشيد بمجهودات عفوية من قبل مهارات محلية غير مؤهلة، وغالبًا ما كان هؤلاء من القرويين البسطاء الذين لم تكن لهم قدرة علي استيراد مواد البناء الجيدة، لذلك نجدهم يعمدون إلى استغلال ما أتيح لهم من مواد في بيئتهم، فجاءت مبانيهم عبارة عن جدران من الحجارة الغشيمة الصغيرة المخلوطة بالطين المحروق (الآجر)، والتي كانت تنفذ بواسطة طريقة محلية تسمى (ضرب الباب).

وربما كانت هذه التقنية البدائية في البناء بما تعتمده من مواد محلية بسيطة هي السبب الأهم في عدم متانة مثل هذه المباني وصمودها مع مرور الزمن، وبالعودة إلى المباني الموجودة داخل أسوار المدن القديمة، وبالتحديد ابتداءً من العصر العثماني الأول، فإننا نلاحظ أنها ومنذ هذه الفترة شهدت تطورًا ملحوظًا في طرق ومواد وأساليب البناء. ويبدو أن المهارات البنائية المؤهلة والتي جلبت من الخارج في هذه الفترة سواء من دول المغرب أو من دول أوروبا قد ساهمت إلي حد كبير في إيجاد مصادر أخرى لمواد البناء داخل البلاد لم تكن معروفة من قبل.

وربما المثال الأهم على ذلك هو استحداث محاجر قريبة من المدينة، تستخرج منها نوعيات جديدة من أحجار البناء، هذه المحاجر التي توجد آثارها إلي حد اليوم في منطقة (قرقارش) وكذلك في منطقة (الظهرة) وتستخرج منها أحجار جيرية ذات أبعاد تتراوح بين (٠.٥م) و (١م)، وتنقل إلى المدينة لاستعمالها في البناء، وضعت تلك الأحجار في صفوف أفقية، وكان يوضع بينها عند البناء طبقة من الملاط قوامها (الجير الحي)، ولقد استعمل في تبليط المباني منذ هذه الفترة تقنية خاصة لم تستعمل في مباني المدينة قبل دخول الأتراك إليها وهذا ما يؤكد أنها طريقة مستوردة جاءت مع المهارات البنائية المجلوبة من خارج البلاد،[٣] وتتمثل تلك التقنية في استعمال مونة جيرية قوامها (جير + رمل)، تخلط مع الرماد الناتج من حرق الأخشاب في الأفران.[٤]

إضافة إلى هذه المواد الإنشائية؛ فإن المشرفين على بناء العمائر حاولوا الاستفادة من كل ما هو متاح لديهم من مواد بناء لتكون تلك المباني على قدر كبير من المتانة، فاتجهوا إلى إعادة استخدام المواد المجلوبة من المناطق الأثرية القديمة لإضافة الأصالة والقوة الإنشائية على مبانيهم، والملاحظ أن هذا الحل التقني كان مستخدمًا في مباني ليبيا حتى قبل دخول الأتراك إليها.[٥] وللتغلب على مشكلة عدم توفر بعض المواد المهمة في البناء لجأ المشرفون على بناء عمائر المدينة ابتداء من دخول الأتراك إليها إلى استيراد تلك المواد من

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

خارج البلاد، فالأخشاب الطويلة وغير الموجودة في البلاد كانت تستورد من بلاد الشام ومن آسيا الصغرى، وكذلك كانت تستورد موارد أخرى مثل الحديد والزجاج من بعض الدول الأوروبية، هذا بالإضافة إلى استيراد الأعمدة الرخامية من مقالع خاصة موجودة في الجنوب الإيطالي، وكذلك جلب الرخام المالطي من جزيرة مالطا.

وبدخول المهارات البنائية القادمة من بلدان المغرب العربي ومن تونس بالذات دخل إلى عمائر المدينة القديمة ابتداءً من نهاية العصر العثماني الأول وبداية العصر القرمانلي أسلوب الزخرفة ببلاطات الجليز (القيشاني)، هذا الأسلوب الذي كان متبعًا في زخرفة المباني في تونس، وأصبحت عمائر طرابلس القديمة تكاد لا تخلو من مثل هذا التقليد في الزخرفة سواء كانت تلك العمائر دينية أو مدنية، وكانت تستورد تلك البلاطات من تونس بكثرة منذ هذه الفترة، وربما كان الدليل على ذلك ما هو موجود في مساجد وقصور المدينة في هذا العصر.

أساليب بناء المساجد:

يبدو أن الأساليب التي كانت تراعى في بناء المساجد في مدينة طرابلس هي في أغلبها من الثوابت التي كان البناؤون يضعونها في حسبانهم بقصد أو بدونه، فكلها متوفرة في المساجد منذ ما قبل دخول العثمانيين للبلاد. فلقد راعى المعمار في بناء المسجد منذ البداية، أن يكون موقع المسجد قريبًا من أماكن الاكتظاظ ليسهل على السكان الوصول إلى الجامع بكل يسر، وهذا ما تمتعت به مساجد المدينة القديمة بشكل عام، وذلك نظرًا لصغر حجم المدينة والانتشار المساجد في كل أرجائها وبالتالي لا يكاد يخلو أحياؤها من مسجد أو أكثر.

كما أراد المعماري أن يحافظ على علاقة المسجد مع المساكن المجاورة له، وذلك من دون أن تتعدى عليها بالارتفاع الذي يحجب الهواء والشمس، أو بالأسطح العالية التي تكشف عورات تلك المساكن،[٢] كما حرص المعمار على أن يكون موقع المسجد مطلاً على أكثر من شارع وذلك لتيسير الوصول إليه من تلك الشوارع، وهذه الميزة نجدها واضحة أشد الوضوح في مساجد العصر القرمانلي، فجامع القرمانلي مثلاً صمم ليكون محاطًا بالشوارع الرئيسة والتي تكون عادة أسواقًا مزدحمة بالناس، وكذلك هو الحال في جامع قرجي فهو يطل على شوارع تعج بالحركة بحيث توفر مكانًا للصلاة بأسهل الطرق وأقصرها للمارة والمنتفعين بتلك الشوارع.

وفي الإطار نفسه اكتسبت الأبواب ومواقعها أهمية كبرى في أولويات مصممي المساجد في هذه الفترة، سواء الخارجية منها أو الداخلية التي تؤدي إلى داخل بيت الصلاة، فقد حرص أولئك المصممون على توزيع تلك الأبواب توزيعًا يضمن عملية الدخول والخروج دون أي عوائق، فالباب الخارجي للجامع هو المعبر الرئيسي والأساسي إلى كتلة المبنى، أي أنه الفاصل بين الحركة العمومية في الشارع والحركة الخصوصية داخل المبنى استعدادًا لأداء الصلاة، لذا فإن تلك الأبواب وزعت على نقاط مهمة بحيث تجعل الخيارات المتاحة أمام الداخل إلى الجامع لأداء الوظيفة التي دخل الجامع من أجلها، ويمكن أن نوزع هذه الخيارات ابتداءً بالمداخل الخارجية كما يلي:

١- المدخل ---> الميضأة ---> الفناء ---> بيت الصلاة.

٢- المدخل ---> الفناء ---> بيت الصلاة.

٣- المدخل ---> بيت الصلاة.

ومن تلك النقاط نستنتج أن المداخل الرئيسية الخارجية أوجدت سهولة في الانتقال من الحركة العامة مرورًا بها وانتهاءً ببيت الصلاة الذي يؤدي فيه الداخل الصلاة وهي الغرض من دخوله للمسجد حسب الاحتياجات الخاصة للمصلى.

أما بالنسبة للأبواب الداخلية أو أبواب بيت الصلاة، فكان على المعمار أن يراعي في أسلوب بنائه للمسجد ملاءمتها التامة مع دخول المصلين وخروجهم دون تخطي رقاب بعضهم البعض، فجاءت تلك الأبواب موزعة على مختلف جوانب بيت الصلاة من الجانبين والمؤخر، إلى جانب إيجاد باب آخر في جدار القبلة أو موازيًا للمحراب وذلك لدخول الإمام. وأصبح بيت الصلاة ابتداءً من دخول العثمانيين للمدينة يشغل حيزًا وسط المسجد في أغلب نماذج هذه الفترة، وتتوزع حوله باقي العناصر مثل الأفنية ودورات المياه وغيرها، ويبدو أن هذا العنصر استحوذ على العناية الأكبر من قبل المعماريين فحرصوا على إظهاره بمستوى هذه الأهمية من حيث توزيع عناصره الرئيسية أو إضافة الزخارف والأشكال الفنية التي تزيد من جمال شكله وقيمته الجمالية.

والصحن أيضًا من العناصر المهمة في كتلة الجامع، فهو يعتبر حلقة الوصل بين مكونات الجامع، كما أنه يؤدي غرضًا آخر مهما وهو استيعاب عدد أكبر من المصلين في الصلوات الجامعة، إضافة إلى أهميته في تهوية وإضاءة المبنى والمحافظة على درجة الحرارة معتدلة داخل المسجد صيفًا وشتاءً، لذا وفي ضوء تعذر وجود المساحة المناسبة لإقامة الفناء، فالأرجح أن المعماري حرص في مساجد المدينة منذ مجيء العثمانيين على تعدد الأفنية في أكثر من جهة في المسجد وأينما وجدت المساحة لذلك لتؤدي هذا الغرض.

وكان للجانب الجمالي ومراعاة النسب المعمارية نصيب في اهتمامات المعماريين في العصر القرمانلي، فقد حرصوا كما هو واضح في مساجد هذه الفترة على توحيد واجهة المسجد مع واجهات المباني المجاورة له، وذلك للمحافظة على جمالية المنظر العام للشارع، من خلال ألوان الطلاء أو الفتحات الموجودة في الجدران، أو من خلال تصميم عقود المداخل وعقودها، مما يخلق بالتالي عند الناظر إلى هذه الواجهات الشعور بانسجام تام بين المبنيين المتجاورين، إلى جانب ذلك فقد حرص المعماري في هذه الفترة على تزويد الجامع بكل المرافق الضرورية الأخرى كالآبار وخزانات تجميع مياه الأمطار وكذلك خزانات الصرف الصحي.

علمية. عالمية. مُحكَمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449



أما من الناحية الزخرفية؛ فيبدو أن مساجد الفترة الأولى من العصر العثماني كانت عبارة عن حلقة من حلقات التطور في مساجد المدينة وصلت ذروتها في العصر القرمانلي، وأغلب الظن أن الفنانين في الفترة الأولى راعوا أن تكون الزخارف والأشكال الفنية التي يتم تزويد المسجد بها تخدم الهدف الوظيفي للمبنى، فتبعث في نفسية المصلي شعورًا بالخشوع والطمأنينة داخل بيت الصلاة، وهي بذلك تختلف عن الزخارف الموجودة في عناصر النسيج العمراني الأخرى والتي يكون هدفها بعث السعادة والانبهار النظري والفكري لدى المشاهد. ويبدو أن الفنان اعتمد في هذا الجانب على التوزيع الجيد لفتحات الإضاءة في بيت الصلاة، وذلك لكي تعكس من خلال إدخال الضوء إلى المصلى جمالية تلك الزخارف، هذا إلى جانب تأدية تلك الفتحات لأغراضها الوظيفية الأخرى والمتمثلة في نشر الضوء والمساهمة في تهوية بيت الصلاة.

ومن أساليب البناء الأخرى التي نلاحظها في مساجد ليبيا، محاولة المعمار التحكم في بعض الجوانب المناخية بالكتلة، وذلك لخدمة أغراض رئيسة أخرى، فقد راعى المعماري مثلاً أن لا يكون هناك عزل صوتي داخل بيت الصلاة وذلك لما يتطلبه بيت الصلاة من نفاذية الصوت بأكثر وضوح ممكن لسماع الخطب وتكبيرات الإمام، لذا فقد حرص على أن تكون جدران بيت الصلاة غير سميكة، تسمح بتوزيع الصوت وترديده ليكون أشد وضوحًا، كما أن نظام التسقيف بالقبيبات والفجوات الموجودة بالسقف تساهم في إحداث دوي للصوت لخدمة الغرض نفسه.

أما بالنسبة للجدران الخارجية والتي تفصل داخل الجامع عن مجال الحركة العمومية والضوضاء، فالمطلوب منها أن تكون ذات عزل صوتي بأكبر قدر ممكن ، للتخفيف من حدة الضجيج التي يمكن أن تدخل إلى الجامع ، لذا فقد جاءت تلك الجدران سميكة بحيث وصلت في بعض مساجد هذه الفترة إلى ٧٠ سم، كما هو الحال في الجدران الخارجية لجامع ابن غلبون في مصراته، الذي استعمل في بناء حوائطه الطوب الحراري الذي ساهم في عملية العزل الصوتي. ومن الجوانب المناخية الأخرى التي أراد البنّاء إيجاد أسلوب بناء أمثل للتحكم بها هي مدى نفاذية الحرارة إلى كتلة المسجد، فلقد ساهم استعمال أسلوب القبيبات في سقف المساجد بالمدينة في هذه الناحية ، حيث أن تلك القبيبات تؤدي إلى عدم تعرض سطح المسجد بالكامل لأشعة الشمس

خلال ساعات النهار، وبالتالي الإقلال من الضغوط الحرارية على الفراغات الداخلية، وأيضاً فإن استعمال الطوب الحراري في بناء تلك القباب وبناء الجدران الخارجية للمبنى يساهم في تأخير نفاذ الحرارة إلى داخل الكتلة البنائية إلى وقت تكون فيه درجة الحرارة الخارجية قد أخذت في التدني، وذلك في ساعات الليل أو الساعات المتأخرة من النهار، لذا فإن الأسطح الخارجية تحفظ الحرارة لمدة أطول تجعل رواد المسجد يشعرون بالدفء في الأوقات الباردة.

ومن ناحية أخرى؛ عمد المعماري إلى اختيار هذا اللون يعمل على انعكاس أشعة الشمس بعيدًا عن المبنى، وهذه الميزة نجدها في جميع مساجد المدينة القديمة، سواء تلك التي كانت قائمة قبل دخول العثمانيين أو بعده، وهو ليس مقتصرًا على المساجد فقط وإنما في كل عناصر النسيج العمراني الأخرى في المدينة، وقد عمل المعماري على التحكم في عملية التهوية والإضاءة النافذة إلى مبنى الجامع، حيث نلاحظ ذلك في حسن توزيع الفتحات في جدران المسجد الداخلية والخارجية، وكذلك في ظاهرة تعدد الأفنية والتي تخدم هذا الغرض أيضًا، وتضاعف كمية الضوء والهواء التي تدخل إلى المسجد من عدة اتجاهات مختلفة.

رغم أن أغلب أساليب البناء السابقة نجدها متوفرة في مساجد المدينة القديمة والتي شيدت قبل مجيء العثمانيين إلا أن دور المدرسة العثمانية وأساليب بنائها المؤثرة في أساليب البناء لمساجد المدينة القديمة منذ دخول الأتراك لها يبدو واضحًا، فكما هو معروف فإن جميع مساجد المدينة الموجودة حاليًا، إما أن تكون قد شيدت في فترة الحكم العثماني، أو أن تكون قد أعيد بناؤها في هذه الفترة، لذلك فإن كلها حملت نفس الصفات تقريبًا من حيث أساليب البناء.

وكما يبدو فإن الشيء الجديد الذي أتت به هذه المدرسة ربما يتمثل في جانب الثراء الفني الذي شهدته المساجد المشيدة في فترة الحكم العثماني دون غيرها، أما الجانب الآخر فهو ابتعاد المدرسة العثمانية عن بناء المآذن والصوامع المغربية ذات البدن المربع والتي نشاهدها في المساجد السابقة، ومن أبرزها مئذنة جامع الناقة ومئذنة جامع سيدي عطية، والاتجاه إلى استعمال المآذن ذات البدن الدائري ذي الشرفة الواحدة، والذي تطور في نهاية العصر العثماني الأول والعصر القرمانلي إلى المآذن ذات البدن الثماني المضلع، مثل مآذن جامع شائب العين وجامع أحمد باشا وجامع قورجي.

أيضًا فإن أسلوب إلحاق ضريح المؤسس بالجامع كان السمة البارزة في بناء المساجد منذ العصر العثماني الأول، وربما كان ذلك من أجل زيادة أهمية المساجد من الناحية السياسية والتاريخية.

العوامل المؤثرة في أساليب بناء المسجد:

إلى جانب الثوابت الأساسية التي تحدد أساليب بناء المساجد بشكل عام، وما أملته من ضروريات أكسبت المساجد شكل العناصر الرئيسية والملحقة، هناك العديد من المؤثرات الأخرى التي ساهمت في تشكيل عمارة المسجد في المدينة القديمة، تلك المؤثرات التي تأتي في مقدمتها المذاهب الإسلامية التي تعاقبت على مدينة طرابلس قبيل وخلال فترة العصر العثماني، وفلسفتها ونظرتها إلى عمارة المساجد.

فخلال العهود الأولى للفتح الإسلامي كان المذهب المالكي هو المذهب السائد في ليبيا، بينما انتشر خلال القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) المذهب الأباضي بين سكان ليبيا بشكل عام، ومع ظهور الدولة الفاطمية في تونس ثم في مصر، تأثرت البلاد الليبية

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

ككل بالمذهب الشيعي الذي يتبعه الفاطميون، وذلك في مطلع القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، هذا المذهب الذي بدأ في التلاشي في حوالي منتصف القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ليعود المذهب المالكي للسيادة في طرابلس، واستمر كذلك حتى بداية العصر العثماني في منتصف القرن السادس عشر للميلاد.

نظرت تلك المذاهب التي سادت في ليبيا كل تلك الفترة إلى المساجد على أنها مهد للتوحيد، وأنها لم تنشأ لتؤدي أي غرض آخر غير الغرض الوظيفي ألا وهو الصلاة، لذا فقد كانت كل هذه المذاهب تستبعد دائمًا استعمال الزخارف والتشكيلات الفنية والتفنن في بناء المساجد، وهذا انعكس على جوامع المدينة في هذه الفترة حيث جاءت بسيطة خالية تقريبًا من أي شكل فني. وبعد مجيء رجال العصر العثماني من حكام ومستوطنين وجند، جلبوا معهم إلى البلاد المذهب الحنفي الذي كان سائدًا آنذاك في مختلف بقاع الإمبراطورية العثمانية، وهو مذهب متساهل أكثر من سابقيه في جانب الزخرفة والتشكيل الفني، معتمدًا على نظرية أن الجامع يؤدي أغراضًا جمالية إلى جانب الغرض الوظيفي الأساسي.

ولكن مع ذلك لم يستطع هذا المذهب أن يفرض نفسه منذ البداية بالبلاد والدليل على ذلك أن مساجد الفترة العثمانية الأولى لم تشهد الكثير من التأثيرات الفنية أو المعمارية، فجامع درغوت وجامع محمود جاءا بسيطين في أصلهما، ويحملان مواصفات المساجد المالكية، بينما نرى الفارق كبيرًا جدًا بينهما وبين المساجد اللاحقة ابتداءً من جامع شائب العين في نهاية العصر العثماني الأول ١١١١ هجريًا / ١٦٩٩ ميلاديًا؛ حتى وصلت الذروة في البناء والزخرفة التي جاء بها هذا المذهب، وذلك في مساجد العصر القرمانلي وخصوصًا جامعي أحمد باشا وقورجي واللذان يمثلان أروع نموذجين من حيث الفن الزخرفي والمعماري بين مساجد طرابلس في العصر العثماني.

وإلى جانب تأثير المذاهب الإسلامية في الشكل الفني والمعماري للمساجد في ليبيا، هناك عامل آخر أثر بشكل كبير في تحديد أسلوب بناء تلك المساجد، هذا العامل يتمثل في نوعية مواد البناء المحلية، والخبرة المتوفرة للمهارات المحلية التي شاركت في بناء تلك الجوامع، فالبلاد الليبية والمناطق المحيطة بطرابلس بشكل خاص، تفتقر بشكل كبير إلى مواد بناء مناسبة وجيدة إلى جانب أن المهارات المحلية كانت قبل قدوم الأتراك بسيطة وتعمل بعفوية ودون خبرة سابقة بأعمال البناء وأساليبها المختلفة. لذا فقد انعكس ذلك على عمائرهم فجاءت بشكل بسيط، لم تكن لتصمد في وجه الزمن، كما أن هؤلاء البناة الأوائل لم تكن لهم المقدرة على استيراد أو جلب المواد الجيدة لبناء مساجدهم، فنشأت لديهم نتيجة لذلك مساجد صغيرة الحجم لعدم توافر الأخشاب الطويلة في البلاد، وجدرانها هشة لاستعمالهم الطين المخلوط بالحجارة الصغيرة البناء وعدم توفر الأحجار الكبيرة في المنطقة.

كل تلك المعطيات أثرت سلبًا على عمائر ما قبل الحكم العثماني فجاءت كما ذكرنا بسيطة وخالية من البهرجة المعمارية والفنية ولولا عمليات الصيانة المستمرة ما استطاعت الصمود إلى الآن. يبدو أن ذلك لم ينسجم مع بناء المساجد في المدينة ليبيا من العصر العثماني الأول، فالمعروف أن من أمر ببناء المساجد في هذه الفترة هم الباشوات الأتراك.

وربما كان بناؤهم لتلك المساجد لأغراض سياسية أخرى غير أغراضها المعروفة، لذا فإنها لم يدخروا جهدًا في إظهار مساجدهم تلك بمظهر يليق بهذا الغرض، فقاموا باستيراد مواد البناء الجيدة من خارج البلاد، ولم يقتصر جهد الباشوات الأتراك على هذا الجانب فقط، بل عمدوا إلى استيراد المؤهلات والخبرات المتمرسة في هذا الميدان، مما أضاف إلى أساليب البناء نفسًا جديدًا ارتقى بها عما كان سائدًا فإن التطور والتجدد في تلك الأساليب أصبح السمة البارزة في مساجد هذه الفترة، وحتى الإضافات التي شهدتها مساجد العصر العثماني الأول في الفترات اللاحقة، والتي يبرز منها أسلوب الزخرفة والأعمال الفنية، كانت نتيجة تأثيرات جاءت من بلدان المغرب العربي ، وربما كان ذلك من خلال تأهيل وتدريب المهارات المحلية في تلك الدول، أو باستقدام حرفيين وفنانيين من هناك، وسواء كان التأثير بهذه الطريقة أو تلك فإنها وبشكل عام لم تكن محلية وهو ما يؤكد تأثير هذا الجانب في أساليب البناء والزخرفة.

ومن بين المؤثرات الأخرى التي لعبت دورًا مهمًا في تحديد أسلوب بناء المساجد القديمة مدى توفر الفضاء اللازم والمناسب لبناء الجامع، فقد انعكس هذا الجانب منذ بداية العصر العثماني على تحديد الشكل العام الخارجي للجامع ومساحته وبالتالي على توزيع العناصر الداخلية له حسب تلك المساحة، فبداية العصر العثماني الأول وما شهدته من توافر القادمين الجدد من مستوطنين وجند، بالإضافة إلى السكان المحليين، كل ذلك، أدى إلى زيادة نسبة العمران وبالتالي قلة أو ضيق الفضاءات التي تحدد لإقامة العمائر المختلفة. واختلفت أنماط تخطيط العمائر الدينية في ليبيا إبان عصر الدولة القرمانلية، وذلك حسب مساحة كل بناء ونوعه ما بين جامع ومسجد ومدرسة وزاوية.

١ . المساجد الجامعة:

لم تتبع المساجد التي أنشئت في عصر الأسرة القرمانلية النمط التقليدي للتخطيط الذي يتكون من صحن أوسط تحيط به ظلات أو أروقة أو أواوين، وإنما كان الطراز السائد خلال ذلك العصر يتكون من بيت صلاة محاط بجداران من أربع جهات تتخللها فتحات أبواب ونوافذ، ويتقدم بيت الصلاة من ثلاث جهات عدا جهة القبلة رواق يشرف على صحن مكشوف في أكثر من جهة، أما في الجهة الرابعة خلف جدار القبلة فنجد ضريح المنشئ وملحق به مدفن لأفراد أسرة المنشئ. ونجد المئذنة تشغل جزءًا من جدار إحدى الواجهات الخارجية، وفي الصحن المكشوف الذي يحيط ببيت الصلاة في أكثر من جهة نجد أن الميضأة والمطاهر تشغل ركنًا وحيزًا

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

من هذا الفضاء المكشوف بالإضافة إلى بعض الملحقات الأخرى التي نجدها تحتل جانبًا من هذا الصحن (الفضاء المكشوف). أما بيت الصلاة ذاته فينقسم بواسطة بوائك من العقود . تمتد موازية ومتعامدة على جدار القبلة . إلى أقسام متساوية يغطي كل منها قبة، ويختلف عدد هذه البوائك بالطبع حسب مساحة بيت الصلاة، والشكل العام لبيت الصلاة هو الشكل المربع أو الشكل المستطيل في أحيان قليلة. وبعد عرض هذه الصورة العامة لتخطيط الجوامع في العصر القرمانلي؛ نحاول أن نتناول فيما يلي كل عنصر من عناصر التخطيط.

بيت الصلاة المحاط بجدران من الجهات الأربع:

وجد في كل من:

جامع أحمد باشا القرمانلي (١١٥٠ هـ / ١٧٣٨م)

وجامع سيدي أحمد المرغني (١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠م)

وجامع مصطفى قرجي (١٢٤٩ . ١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٣ . ١٨٣٤ م) وقد وجد هذا النمط في طرابلس في العصر العثماني الأول، وبتحليل هذا النمط من بيوت الصلاة نجد أنه ظهر في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي، ويبدو أن ذلك كان بفعل التأثير الغربي الذي تأثر به العثمانيون منذ فتحهم لمدينة القسطنطينية، حيث عمل المعماري على استبدال البائكة المفتوحة التي كانت تطل على الصحن في الكنائس المسيحية المبكرة والبيزنطية بجدار سميك به فتحات ونوافذ، وقد عرف هذا التخطيط لبيوت الصلاة في كل من مصر ومشرق العالم الإسلامي. وفيما يتعلق بالجوامع في عصر الأسرة القرمانلية نجد بيت الصلاة محاط برواق من ثلاث جهات (أروقة تتقدم بيت الصلاة) كما في جامع أحمد باشا القرمانلي وجامع مصطفى قرجي ولكن هذه الأروقة لم تكن مغطاة بقباب بل يغطيها سقف خشبي. وفي جامع سيدي أحمد المرغني الذي أنشأه يوسف باشا القرمانلي (١٢٣٦ هـ/ ١٨٢٠م) يتقدم بيت الصلاة صحن مكشوف محاط برواقين في الجهتين الشمالية الشرقية والشمالية الغربية، ويغطي الرواقين سقف خشبي، أما في الجهة الجنوبية الغربية فتفتح على الصحن بعض الحواصر إلى جانب الفتحة المعقودة التي تربط بين الدركاة والصحن.

الرواق الذي يتقدم بيت الصلاة ويحيط به من ثلاث جهات:

وإحاطة بيت الصلاة برواق من ثلاث جهات عدا جهة القبلة في جوامع طرابلس في عصر الأسرة القرمانلية كما في جامعي القرمانلي وقرجي، يُعَدّ من التأثيرات العثمانية، وإن كانت جوامع طرابلس في العصر العثماني الأول لم تكن بيوت الصلاة فيها محاطة برواق من ثلاث جهات أو يتقدمها صحن محاط برواق من أربع جهات ، وإنما كانت تتقدم بيت الصلاة سقيفة من جانب واحد في بعض الأحيان وقد ظهر هذا النظام في مصر وتونس.

إحاطة بيت الصلاة بصحن مكشوف في أكثر من جهة:

جاء بيت الصلاة في جامع أحمد باشا القرمانلي محاطًا بصحن مكشوف من ثلاث جهات عدا جهة القبلة، وفي جامع مصطفى قرجي أحيط بيت الصلاة بصحنين مكشوفين أحدهما في الجهة الشمالية الشرقية، والآخر في الجهة الشمالية الغربية. أما عن أقدم الأمثلة لوجود هذا الفضاء في عمائر طرابلس فنجده في جامع مراد أغا في تاجوراء (٩٦٠ هـ/ ١٥٥٣م)، وقد عرف هذا التخطيط في مشرق العالم الإسلامي، ولكن يبدو أنه قد انتقل بشكل تلقائي من تونس إلى ليبيا.

وقد عمل المعماري على استخدام هذا النوع من الفضاء المكشوف المحيط ببيت الصلاة لعزل بيت الصلاة عما حوله من شوارع كتوفير للهدوء لمن بداخل بيت الصلاة ، وقد أصبح هذا النمط من الفضاء المكشوف (إحاطة بيت الصلاة بأكثر من صحن) من سمات عمائر طرابلس الدينية، وبخاصة المساجد الجامعة في العصر العثماني الأول والعصر القرمانلي وما تلاهما من العصور.

تخطيط بيت الصلاة:

اتخذ بيت الصلاة في الجوامع التي أنشئت في طرابلس خلال العصر القرمانلي شكلاً ثابتًا، وهو تقسيم الفضاء الداخلي لبيت الصلاة إلى أقسام متساوية بواسطة بوائك من العقود التي تمتد متوازية ومتعامدة على جدار القبلة مثل جامع أحمد باشا القرمانلي (١١٥٠ هـ / ١٧٣٨م)، وجامع مصطفى قرجي (١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م). ولم يختلف عن هذا التخطيط سوى نماذج قليلة تلك التي يغطي بيت الصلاة فيها قبة مركزية كما في جامع سيدي أحمد المرغني (١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠م)، وذلك بفعل التأثيرات العثمانية. وإذا كانت جوامع ليبيا التي أنشئت في العصر القرمانلي قسم فيها الفضاء الداخلي لبيت الصلاة إلى أقسام متساوية بواسطة بوائك من العقود التي تمتد متوازية ومتعامدة على جدار القبلة، فإن هذا التخطيط ينطبق على معظم الجوامع الليبية، إلا أن وجوده في جامع درغوت باشا (٩٧٢ هـ / ١٥٦٥م) يعتبر البداية الحقيقية لاستخدام هذا التخطيط في ليبيا خلال العصر العثماني. وقد ظهر هذا التخطيط لبيوت الصلاة ذات البائكات المتقاطعة في العمارة الدينية في تونس منذ فترات مبكرة من العصر الإسلامي، وكذلك عرف في القاهرة.

أما النمط الثاني من تخطيط بيت الصلاة في جوامع طرابلس فيمثله جامع سيدي أحمد المرغني الذي أنشأه يوسف باشا القرمانلي (١٢٣٦ هـ/ ١٨٢٠م) حيث أن بيت الصلاة في هذا الجامع عبارة عن شكل مربع تغطيه قبة ضخمة ترتكز على عقود مدمجة بالجدران؛ مما يجعل مساحة بيت الصلاة خالية من وجود أي أعمدة أو دعائم تقطع صفوف المصلين، ويتقدم بيت الصلاة صحن مكشوف يحيط به رواق من جهتين وبعض الملحقات من الجهة الثالثة، وفي الجهة الرابعة واجهة بيت الصلاة وبها المدخل، ويعتبر هذا النمط تأثيرًا عثمانيًا صرفًا.

الطابق الثاني (الشرفات الداخلية):

إنه من المميزات التي تميزت بها جوامع طرابلس في عصر الأسرة القرمانلية هو وجود طابق ثانٍ يحيط ببيت الصلاة من ثلاث جهات عدا جهة القبلة، ويشرف هذا الطابق من الداخل على بيت الصلاة

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449



من خلال شرفات ذات سياج خشبي في حين يبرز هذا الطابق ليحتل سقف الأروقة المحيطة ببيت الصلاة، وهو ما وجدناه في جامعي أحمد باشا القرمانلي ، ومصطفى قرجي، وقد وجدت فكرة وجود طابق ثانٍ في مساجد تركيا على جانبي الضلع الذي به المحراب، وأحيانًا في الضلع الغربي أيضًا. وكذلك ظهر الطابق الثاني في مصر في جامعي محمد علي والملكة صفية، وقد وجد الطابق الثاني في جوامع غرب العالم الإسلامي.

وقد امتاز الطابق الثاني في جوامع طرابلس في العصر القرمانلي بأنهم كان يحيط ببيت الصلاة من ثلاث جهات عدا جهة القبلة، وأنه كان يحتل أعلى الرواق أو الظلة التي تحيط بيت الصلاة من الخارج من ثلاث جهات عدا جهة القبلة، مما يجعل مساحة هذا الطابق الثاني كبيرة فلا يمكن مع المساحة الكبيرة للطابق الثاني الموجود في جامعي أحمد باشا القرمانلي ومصطفى قرجي أن يكون مخصصاً للنساء.

٢. مساجد الأوقات:

يوجد في ليبيا العديد من المساجد الصغيرة المساحة، وتعود هذه المساجد المتبقية إلى العصر العثماني الأول والعصر القرمانلي والعصر العثماني الثاني، وتأسيس هذه المساجد الصغيرة في مساحتها مع وجود عدد من المساجد الجامعة في المدن الليبية ظاهرة وجدت في كثير من عواصم العالم الإسلامي.[٣] وتحكم في إنشاء تلك المساجد بعض العوامل مثل إمكانيات المنشئ وظروفه، حيث أن هذه المساجد عادة ما ينشئها موظفو الإيالة، ومن المساجد صغيرة المساحة التي أنشئت في طرابلس في عصر الأسرة القرمانلية مسجد عمورة محمد فلمنك (١١٧٤ هـ/ ١٧٦٠م)، ومسجد بيت المال (أوائل القرن ١٣ الهجري/ أوائل القرن ١٩ الميلادي)، ومسجد الميلادي (أوائل القرن ١٣ الهجري / أوائل القرن ١٩ الميلادي).

ويمكن من خلال تخطيط هذه المساجد ونظام التغطية فيها أن نقسم هذه المساجد إلى نمطين:

النمط الأول:

يتكون فيه المسجد من بيت الصلاة والذي يتقدمه صحن مكشوف، وفي الغالب يكون بيت الصلاة مربع الشكل ينقسم بواسطة عمود أوسط إلى بلاطات صغيرة متساوية يغطي كل منها قبة من النوع الذي تتميز به أغلب قباب العمائر الدينية في طرابلس، والذي تبدو فيه القبة كأنها ترتكز على الجدران مباشرة، ويتقدم بيت الصلاة في هذا النمط صحن مكشوف، وتوجد الميضأة والمراحيض في أحد أركان هذا الصحن، ومن المساجد التي تتبع هذا النمط والتي أنشئت في العصر القرمانلي مسجد بيت المال. ونلاحظ في هذا النمط من المساجد البساطة والتقشف سواء من ناحية العمارة أو من الناحية الزخرفية؛ حيث أن هذه المساجد جاءت خالية من الزخارف مما يعد استمرار لما كان متبعًا في مساجد طرابلس من قبل.

النمط الثاني:

يتكون المسجد في هذا النمط من بيت الصلاة والصحن، وبيت الصلاة مستطيل الشكل تغطيه قبة مركزية على أحد جوانبها يوجد قبوان نصف برميليين كما هو الحال في مسجد عمورة محمد فلمنك، وإما قبة مركزية على جانبيها يوجد إيوانان معقودان ويغطي كلهما قبو وكما هو الحال في مسجد الميلادي. والصحن المكشوف ويضم بعض المرافق البسيطة حيث توجد الميضأة في ركن من هذا الصحن، وقد نجد جزءًا مسقوفًا من هذا الصحن إما بسقف خشبي كما هو في صحن مسجد عمورة، وإما مغطى بقبو كما في حجرة الكتّاب المطلة على الصحن في مسجد الميلادي، وتميزت مساجد هذا النمط هي الأخرى بالبساطة في عمارتها وزخرفتها.

٣. المدارس:

تتميز المدارس القرمانلية ببساطة تكوينها المعماري، ورغم ذلك فهي تحتوي على الوحدات المعمارية التي تؤهلها وتساعدها على القيام بوظائفها، وتحتوي المدارس القرمانلية على أماكن للصلاة وقاعات للدرس وخلاو، فضلاً عن المرافق الأخرى والخاصة بتخزين المياه.

أ. بيت الصلاة:

استخدم بيت الصلاة لأداء الصلوات الخمس لطلاب وشيوخ المدرسة والعاملين بها، إضافة إلى استخدامه كقاعة للدرس، حيث يقوم شيوخ المدرسة بإعطاء الطلاب الدروس المختلفة في كافة فروع العلوم الدينية الإسلامية، كالفقه والحديث والتفسير إلى جانب تحفيظ القرآن الكريم، ويعد بيت الصلاة . الذي هو مسقوف من أعلاه بقبة . من أهم عناصر الانتفاع بالمدارس الدينية بمدينة طرابلس في العصر العثماني؛ نظرًا لأن معظم هذه المدارس الثلاث موضوع البحث تشتمل على قاعة واحدة تؤدى بها الصلاة، ويعقد بها حلقات الدرس عدا مدرسة مصطفى قرجي؛ لأنها ضمن مجموعة معمارية تشتمل على مسجد كبير تؤدى فيه الصلوات الخمس وصلاة الجمعة والعيدين، فلم يكن هناك حاجة لإنشاء بيت الصلاة بهذه المدرسة المذكورة، ويقع بيت الصلاة في المدرستين الأخريين وهما مدرستا أحمد باشا القرمانلي (١١٥٠ هـ/ ١٧٣٨م) ومدرسة مصطفى الكاتب (١١٨٣ هـ/ ١٧٦٩م) وذلك بالدور الأرضي بالمدرسة، وخاصة في مدرسة أحمد باشا القرمانلي، ويلاحظ أن جميع المدارس الثلاثة تشتمل على طابق واحد عدا مدرسة أحمد باشا القرمانلي التي تشتمل على طابقين.

أما بالنسبة للتخطيط الداخلي لبيت الصلاة بالمدرستين، فهو يختلف من مدرسة لأخرى؛ فقد لوحظ أن بيت الصلاة في مدرسة مصطفى الكاتب (١١٨٣ هـ/ ١٧٦٩م) مربع الشكل؛ يبلغ طول ضلعه ٥.٨٠ سم؛ يتوسط جداره الجنوبي الشرقي حنية المحراب، الذي يتميز ببساطة تكوينه، ويبلغ اتساعها ٨٥ سم وارتفاعها ١.٧٥ م وعمقها ٢٥ سم. أما مدرسة أحمد باشا القرمانلي (١١٥٠ هـ / ١٧٣٨م) فإن بيت الصلاة بها ينخفض عن أرضية المدرسة بمقدار

علمية. عالمية. مُحكَمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

٢٠ سم، ويقع عند التقاء الرواقين الجنوبي والشرقي حيث توجد فتحة باب مستطيلة الشكل يغلق عليها بمصراعين من الخشب ، تؤدي إلى بيت الصلاة، ويلاحظ أن بيت الصلاة مستطيلة الشكل يبلغ طوله ٤.٧٠ م وعرضه ٣.٦٠ م ومغطى بقبو من مثلثات كروية في الأركان الأربعة، وفي مواجهة فتحة باب بيت الصلاة من الناحية الشرقية يوجد المحراب ويتوسط جدار القبلة، وينتهي من أعلى بطاقية ويبلغ ارتفاعه ١.١٠ م وعمقه ٨٠ سم.

وهكذا؛ يتضح أن بيت الصلاة في المدرستين القرمانلي والكاتب؛ يختلف من حيث المساحة والشكل، حيث أن التخطيط مربع، ومصطفى الكاتب في حين تخطيطه مستطيل في مدرسة أحمد باشا القرمانلي، كما يلاحظ أن عمق المحراب يختلف من مدرسة لأخرى؛ حيث يبلغ ٢٥ سم في مدرسة مصطفى الكاتب، و٨٠ سم في مدرسة أحمد باشا القرمانلي، وبذلك يتضح أن محراب مدرسة أحمد باشا القرمانلي أكثر عمقًا، يليها محراب مدرسة مصطفى الكاتب.

أما عن نوافذ بيت الصلاة فهي تختلف في حجمها ومساحتها وعددها من مدرسة لأخرى عن المدرستين الموجود بهما بيت الصلاة ،كان بيت الصلاة (المسجد) في المدرستين تقام فيه الصلوات الخمس فقط، ولم تقم فيه صلاة الجمعة أو العيدين لكون هذه البيوت لم تكن مساجد جامعة، لذا كانت بيوت هذه المدارس خاصة بطلابها وغير مباحة لعموم الناس، وخاصةً أن هذه المدارس قد شيدت بجوار المساجد الجامعة، مثل جامع قرجي وجامع أحمد باشا القرمانلي. كما يلاحظ أن هذه المدارس لم يكن بها مآذن لاستخدامها للنداء على الناس للحضور للصلاة، وأنها كانت مخصصة لطلاب وشيوخ وأصحاب الوظائف والخدمات الأخرى بالمدرسة.

ب . مساكن الطلاب (الخلاوي):

تُعَدّ مساكن الطلاب بالمدارس الدينية بمدينة طرابلس في العصر القرمانلي، من أهم عناصر الانتفاع بها، وأن طلبة هذه المدارس كانوا نوعين: النوع الأول: هم أبناء المدن، والنوع الثاني: هم الغرباء عن المدينة الموجودة بها المدرسة، وبالنسبة لطلاب النوع الأول فكانوا يعيشون مع أهليهم ولا يسكنون في هذه المدارس، أما طلاب النوع الثاني، وهم الغرباء فكانوا يأتون من مختلف المدن الليبية، وكان هؤلاء الغرباء يقيمون ويسكنون في المدارس، إضافة إلى بعض الموظفين العاملين بالمدرسة، كالشيوخ وخازن الكتب والخدم والحرس، وقد أكد الفقهاء على أهمية مساكن الطلاب (الخلاوي)، فيذكر الونشريسي: "إن مسجد المدرسة لم يبن لله بالقصد الأول من المحبس، وإنما بني حتى لا تكون المدرسة شبيهًا بالفندق وليس الأمر كذلك في بيوت الطلبة، أي أنها بنيت لله بالقصد الأول من المحبس"، ولقد كان لذلك أثره في تخطيط مساكن الطلاب، حيث أفرد لها المعماري أكثر من جهة من الجهات الأربعة لصحن المدرسة، حيث إن هذه الخلاوي كانت تشغل معظم جدران المدرسة الثلاث من الداخل ما عدا مدرسة الكاتب، كما أن المدرسة الوحيدة التي شيدت فيها الخلاوي على طابقين هي مدرسة أحمد باشا القرمانلي، في حين كانت المدرستان الأخريان مساكن الطلاب بها توجد في طابق واحد فقط.

وقد شغلت هذه الخلاوي جزءًا كبيرًا من مساحة المدرسة إذا ما قورنت بمساحة بيت الصلاة أو غيرها، وقد شيدت هذه الخلاوي في غرف منفصلة تفتح على أروقة مسقوفة تشرف على صحن المدرسة عدا مدرسة الكاتب، حيث كانت الخلاوي ملحقة بالمدرسة وتختلف عدد حجرات مساكن الطلاب من مدرسة إلى أخرى، كما تختلف مساحات كل حجرة عن الأخرى، وهذا يوضح أن كل حجرة كانت تكفي لأكثر من طالب، ويخضع تخطيط مساكن الطلاب بالمدارس الدينية بطرابلس بالعصر العثماني لثلاثة أنماط:

النمط الأول: وهو توزيع مساكن الطلاب على أضلاع الصحن الأربعة، كما هو الحال في مدرسة أحمد باشا القرمانلي ومدرسة مصطفى قرجي.

النمط الثاني: فهو أن مساكن الطلاب كانت ملحقة بالمدرسة، كما هو الحال في مدرسة مصطفى الكاتب.

النمط الثالث: إن مساكن الطلاب تقع في طابقين، كما هو الحال في مدرسة أحمد باشا القرمانلي في حين تقع خلاوي الطلاب في الطابق الأرضي فقط، كما هو الحال في مدرسة مصطفى الكاتب ومدرسة مصطفى قرجي، أما من حيث عدد خلاوي الطلاب في كل مدرسة من المدارس الثلاث موضوع البحث، فهي على النحو الآتي:

يبلغ عدد الخلاوي في مدرسة مصطفى الكاتب أربع خلاوٍ، وفي مدرسة أحمد باشا القرمانلي يوجد بالطابق الأرضي سبع عشرة خلوة وكذلك الحال بالنسبة للطابق الثاني، ومدرسة مصطفى قرجي يوجد بها أربع عشرة خلوة، ولكل خلوة من خلاوي هذه المدارس الثلاث باب واحد يغلق عليه بمصراع خشبي وبعضها فتحة بابه مستطيلة الشكل وبعضها الآخر معقود بعقد نصف دائري كما هو موضح في الوصف المعماري لهذه الخلاوي، كذلك كان لكل خلوة منها نافذة أو أكثر بعضها مستطيل وبعضها الآخر معقود بعقد نصف دائري معظمها يفتح خارج المدرسة إن كان للخلوة نافذة واحدة، أما إذا كان لها نافذتان فإن الأخرى تفتح بجوار فتحة الباب أو أعلاه من أجل زيادة الإضاءة داخل هذه الخلاوي، واختلفت مساحات هذه الخلاوي، فبعضها كبيرة المساحة، فلو أخذنا مثلاً مدرسة أحمد باشا القرمانلي نجد أن مساحات الخلاوي تتراوح مابين ٤.١٨ م^{٢} و ١٨.٧٦ م^{٢}، فبعضها كان يتسع لشخصين، وبعضها كان يتسع لعدد أكبر يصل إلى خمسة عشر شخصًا، ويلاحظ أيضًا أن مدرسة أحمد القرمانلي بها أكبر عدد من الخلاوي ذات مساحات مختلفة وهذا يدل على أن منشئ هذه المدرسة أراد أن تستوعب مدرسته هذه أكبر عدد من الطلاب الوافدين الغرباء من غير أبناء المدينة الراغبين في العلم.

ونظرًا لصغر المساحة التي بنيت فوقها المدارس الدينية بمدينة طرابلس وصغر المساحة المخصصة لبناء مساكن الطلاب، فقد لجأ المعماري إلى زيادة أعداد غرف سكن الطلاب عن طريق جعلها تبنى

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

في الجدران الأربعة للمدرسة، وهي الجدران التي تحيط بالصحن المكشوف وذلك في اثنتين من المدارس موضوع البحث، وهي مدرسة أحمد القرمانلي ومدرسة قرجي، كما لجأ في حالة واحدة إلى امتدادها رأسياً في طابقين كما في مدرسة أحمد باشا القرمانلي، حتى أصبحت هذه المدارس أشبه ما تكون بالفندق، وشغلت مساكن الطلاب مساحة كبيرة من المساحة المخصصة للمدرسة مقارنة بمساحة بيت الصلاة (المصلى)، ومعظم هذه الخلاوي تتسع لأكثر من طالب كما سبق وأن ذكرنا.

لقد خضع الانتفاع بهذه المساكن إلى قوانين وتنظيمات داخلية محكمة وكان يشرف عليها مختصون في ذلك، فقد اختصرت على السماح بالإقامة للطلاب الغرباء فقط على أن يكون قد بلغ من العمر أكثر من عشرين عامًا، واشترطت على الطلاب حفظ القرآن، وتلقي الدروس العلمية المقررة بها.

كذلك لا يجوز للطالب أن يعير حجرته لغيره لأنها ليست ملكاً له، ولكن له حق الانتفاع بها فقط، ولا يملك التصرف بها كذلك لا يجوز لمن انقطع عن العبادة وتأدية الصلاة وترك حضور الدروس المقررة للمدرسة أن يقيم في خلاويها، ولكن يسكنها الطلاب الذين يحضرون الدروس، وكانت عقوبة الطرد من هذه المساكن للطلاب الذين أمضوا عشر سنوات من التعليم بتلك المدارس دون أن يبرهنوا على أنهم استفادوا علميًا وحققوا إنجازات في هذه الناحية.

جـ . خزائن الكتب (الكتبيات):

تُعَدّ خزانة الكتب والمكتبة من عناصر الانتفاع المهمة بالمدارس الدينية بمدينة طرابلس في العصر القرمانلي، لأنها المكان الذي يلجأ إليه طلاب المدرسة وشيوخها، وكل من يزيد الاطلاع على كتبها للحصول على المؤلفات التي يريد الاطلاع عليها. لقد حرص مُنشئوا المدارس الدينية بمدينة طرابلس في العصر القرمانلي على تزويد مدارسهم بخزنات للكتب تضم أمهات الكتب في شتى فروع العلم خاصة في العلوم الدينية، هذا إضافة لوجود الكثير من المخطوطات التي تم نسخها وتجليدها وللمحافظة على هذه الكتب وتلك المخطوطات من الضياع والتلف والحريق. إن هذه الخزانات (الكتبيات) الموجودة داخل خلاوي الطلاب، والكتبيات عبارة عن مساحة صغيرة من الخشب على شكل رف أو اثنين لوضع الكتب عليها حفاظًا عليها من التلف أو الضياع، وقد اختلفت عدد هذه الكتبيات من خلوة إلى أخرى، بحيث يكون لكل طالب من الطلاب المقيمين بالخلوة كتبية خاصة به ليضع فيه كتبه وأدواته التعليمية، وهذا يتضح جلياً في كتبيات مساكن الطلاب في مدرسة أحمد باشا القرمانلي.

د . الميضأة:

تُعَدّ الميضأة من عناصر الانتفاع المهمة والضرورية بالمدارس الينية بمدينة طرابلس في العصر القرمانلي، حيث أنها تلعب دورًا مهما في تمكين المصلى من الوضوء تمهيداً لتأدية الصلاة، كما أن وجودها إضافة للمراحيض في كل مدرسة ، إذ يقيم فيها الطلاب والشيوخ أمراً ضرورياً ، حيث يقيمون بالخلاوي الموجودة بالمدارس موضوع البحث إقامة دائمة يحتاج معها المقيم إلى هذه الوحدات لقضاء الحاجات والتطهير والاغتسال والاستحمام والوضوء.

أما بالنسبة للتخطيط المعماري لميضآت المدارس الدينية بمدينة طرابلس في العصر القرمانلي فهي تختلف من مدرسة إلى أخرى في مساحتها من حيث الصغر أو الكبر لمساحة المدرسة نفسها، ويتوسط كل مدرسة من المدارس موضوع البحث ماعدا مدرسة مصطفى الكاتب صحن مكشوف في وسطه حوض مستطيل الشكل تختلف مساحته من مدرسة إلى أخرى يحيط به قناة صغيرة، تشتمل على فتحة تتصل بها أنابيب مخبئة تحت الأرض لتصريف المياه المستخدمة أثناء الوضوء، أما المراحيض (دورات المياه) فتوجد بعيدة عن الصحن أو في أحد أركان المدرسة، وقد كان الحرص على نظافة المدرسة وطهارة مسجدها أثره في جعل المراحيض والميضأة في ركن من أركان المدرسة، حتى لا تنبعث منها روائح غير مرغوبة.

كما كان لشروط الماء والوضوء أثر كبير على التخطيط التفصيلي للميضأة والمراحيض، بحيث يتناسب مع هذه الشروط حيث يكشف التخطيط المعماري للحوض والفساقي التي تتوسط هذه الميضأة مدى تأثره بالمذهب المالكي المتبع في ليبيا، ذلك المذهب الذي يبيح الوضوء من مصدر مباشر واحد، كالفسقية، ويتفق الشافعية مع المالكية في ذلك ، في حين يختلف أتباع المذهب الحنفي مع كليهما في هذا الأمر، حيث أنهم لا يحبذون أن يخالط المتوضئ الماء كله، بل ويأخذ ما يكفيه للوضوء من الماء ويتوضأ به.

ونتعرض للميضأة ودورات المياه في كل مدرسة من مدارس البحث، وهي على النحو الآتي:

تقع الميضأة ودورات المياه بمدرسة الكاتب في الجانب الشمالي من المسجد في مواجهة ظلته وهما ملاصقتان لمدخل المدرسة، وتخطيط الميضأة على شكل مستطيل طوله ٣.٠٧ م وعرضه ٢.٠٤ م، وهذا المستطيل موازي لامتداد الممر بعد الصعود من السلم حتى الظلة التي تتقدم بيت الصلاة، ويغطي الميضأة سقف نصف دائري ويلاصق الجدار الشمالي الشرقي حوض يجاور طرفه الشمالي فتحة بئر كانت تزوده بالمياه، ولكن أهملت في الفترة الحالية، فوضعت عليه صنابير حديثة، وهناك مستطيل آخر موازٍ لمستطيل الميضأة يشغله مرحاضان مستطيلان يتقدم أحدهما الآخر، ويؤدي المستطيل الثاني إلى ممر مسقوف بقبو نصف دائري كما يوجد بجدار هذين المرحاضين المستحم الذي يلاصق المرحاض الأخير.

أما ميضأة ودورات مياه مدرسة أحمد باشا القرمانلي، فتوجد في نهاية الضلع الشمالي من ناحية الغرب، حيث توجد فتحة باب معقودة بعقد نصف دائري تؤدي إلى الميضأة وتنخفض بمقدار درجة واحدة على مستوى أرضية الرواق، وعلى يسار الداخل لهذه الميضأة توجد ثلاث دخلات كل منها معقودة بعقد نصف دائري، وفي أعلى الميضأة دخلتان كلتاهما معقودة بعقد نصف دائري، وللميضأة أربعة صنابير حديثة الصنع، وهذه الميضأة مسقوفة بسقف نصف

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

دائري. وعلى يمين الجالس للوضوء يوجد سلم له ثلاث درجات يؤدي إلى بئر، كما يوجد بجوار الميضأة ثلاث دورات للمياه؛ اثنان منها تطلان على الميضأة وبجوار الميضأة حوض من الحجر لغسيل ملابس الطلبة وألواحهم.

أما مدرسة مصطفى قرجي فليس بها ميضأة أو دورات مياه لأنها واقعة ضمن مجمع ديني يشتمل على مسجد كبير به ميضأة ضخمة، وعدد كبير من دورات المياه يذهب إليها الطلاب المقيمون بالمدرسة للوضوء والاستحمام. وبهذا يتضح أن المدارس موضوع البحث بها ميضأة ودورات للمياه عدا مدرسة مصطفى قرجي، ويختلف عدد دورات المياه ومساحتها، وكذلك مساحة الميضأة من مدرسة إلى أخرى.

٤. الزوايا:

تخطيط الزاوية يعتمد أساساً على القاعة وتؤدي قاعة الزاوية وظيفة بيت الصلاة، وقد تلحق بتلك القاعة الكُتّاب والخلاوي ثم الضريح، ويوجد في وسط الزاوية صحن، ولكن الكُتّاب أو الخلاوي أو الضريح أو الصحن ليست عناصر أساسية في الزاوية فقد تخلو الزاوية من أي منها ولكن لا تخلو الزاوية أبداً من القاعة.

وتنوعت الزوايا الليبية من حيث التخطيط في العصر القرمانلي، فظهرت الزوايا ذات الصحن والخلاوي مثل زاوية إبراهيم المحجوب وزاوية علي الفرجاني وكذلك ظهرت الزوايا ذات البلاطات دون الخلاوي مثل زاوية صالح بن حموده، وظهرت كذلك الزوايا التي جمعت بين الصحن والبلاطات والخلاوي مثل زاوية الباز وزاوية الفطيسي والفواتير السبعة، وعرفت تلك الزوايا باسم الزوايا التامة كونها تشتمل على قاعة وصحن وخلاوٍ وضريح وكُتّاب. وظهرت أيضاً زوايا بدون ضريح مثل زاوية العرصة والشيخ يوسف في ترهونة وزاوية الجمعة، وكذلك زاوية ابراهيم المحجوب وزاوية أبوماضي، وكذلك ظهرت زاوية دون الضريح والصحن مثل زاوية دغار في زليتن.

والدارس للزوايا الليبية ونظمها لا يتعجب من وجود بعض الزوايا بدون أضرحة فتلك الزوايا كانت تؤدي وظيفة المدرسة الحكومية الحالية أو قل أنها مجرد منارة دعائية لمواجهة الأفكار والإتجاهات المناهضة للدولة، وقد يجد الدارس أيضاً زوايا بدون خلاوٍ أو بعدد قليل من الخلاوي ويلاحظ في الزاوية التي كانت بلا خلاوٍ أنها تمتاز باتساع القاعة، فكانت تستغل القاعة للدرس بالنهار وللمبيت في المساء، ويلاحظ أن بعض القاعات استخدمت كبيوت للصلاة وبعضها كانت منفصلة وعلى كل فقد كانت القاعات تلتحم بالصحن في أحد جوانبه.

تخطيط الأسواق:

مع إشراقه نور الإسلام في عصر الرسول (ﷺ) كانت الأسواق أحد العوامل المهمة في تكوين المدينة الإسلامية وكانت أهمية السوق تزداد مع أهمية موقعه بالنسبة للمسجد الجامع، فالملاحظ أن الأسواق التي نشأت بالغرب من المساجد الجامعة كانت أكثر رواجًا من تلك التي نشأت بعيدة عنها، وتتمتع طرابلس بموقع جغرافي تاريخي اقتصادي مهم، وحيث أن المدينة ذات موقع استراتيجي فريد فقد كان لها النصيب الأكبر من هذا الازدهار فأصبحت مدينة عامرة والأهالي الذين بدؤوا يمارسون حرفهم المختلفة " كالنسيج والصباغة والصياغة الذي أدى إلى استقرارهم هناك وبناء الحوانيت التي ازدادت بزيادة نسبة الأهالي وزيادة مواردهم المالية والتي أصبحت مثل الأسواق.

وعرفت تلك الأسواق بمسميات مختلفة وذلك تبعًا لنوعية النشاط التجاري الذي تخصصت فيه حوانيت هذا القسم ولكنها مسميات لسوق واحد كما في سوق المشير والذي يعرف من بداية سوق الفخار حيث تخصصت مجموعة من الحوانيت لبيع الأدوات الفخارية لطبخ الطعام وأواني حمل الماء، وكذلك امتداد ونهاية سوق المشير يبدأ سوق آخر باسم النجار ثم الحدادة ثم الحلودجية وأيضا سوق الفرامل والترك. وتنقسم أسواق طرابلس إلى نوعين النوع الأول وهو الذي يقام في الأماكن الفضاء الخالية ويعرف أحيانًا باسم المكان الذي تقام فيه لسوق الرحبة أو المواد التي تباع فيها كسوق الغنم ومن هذا التنوع أيضًا أسواق أسبوعية أو شهرية.

أما النوع الثاني فهو الأسواق الثابتة والتي لها صفة الإنشاء والباء وعرف بداخلها العديد من الأسواق المنسوبة إلى التجارات، والكتب والحلقة والبنادق ولم تقتصر على البيع فقط بل زاول بعضها هذه المهنة. هذا إلى جانب بعض الأسواق التي تنسب إلى إحدى الفئات أو أحد الأشخاص مثل سوق المشير وسوق القويعة والترك هذا إلى جانب بعض الأسواق التي تنسب إلى المهن أو الحرب مثل القزدارة والصياغة والطباخة والحلقة. وهذا التخصص في الأسواق لم يكن في طرابلس والشمال الإفريقي بصفة عامة وليد العصر العثماني.

وتنقسم الأسواق بطبيعة الأمر إلى قسمين هما:

القسم الأول: يتمثل هذا القسم في معمل للصناعات اليدوية ويشتغل فيها أربابها بتحويل المواد الأولية إلى منسوجات صناعية.

القسم الثاني: يشمل أسواق البيع المعدة لبيع المصنوعات المحلية أو المجلوبة من داخل القر أو خارجه ويتكون هذا القسم من دكاكين متلاصقة ومتقابلة يفصل بينها ممر، وأمام رصيف الدكاكين توجد مصطبة قصيرة تمتد على كلتا ناحيتي السوق حيث كان يجلس عليها الشارى. وكانت دكاكين القسم الأول المخصصة للتصنيع هي أفسح رقعة من دكاكين البيع، لأن العمل فيها يتطلب التوسعة لنصب أنوال النسيج، ونشر المواد الأولية بعد صبغها وتجفيفها وبالنسبة للقسم الثاني من الأسواق والذي يضم الحوانيت المعدة لعرض السلع التجارية وصلنا من نمطين:

النمط الأول: هو نمط بسيط مكشوف عبارة عن ممر مكشوف تفتح على جانبيه للحوانيت ومن هذا النمط سوق للمشترى والتجارة، والحدادة والقزدارة والحلقة.

النمط الثاني: له هيئتان هيئة بسيطة تشبه النمط الأول ولكنه مغطى بالأسقف الخشبية وعلى جانبيه مجموعة الحوانيت وسوق

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

الفرمل والترك والطباخة والحرير، وهيئة مركبة تتمثل في تغطية الممر بالأقبية سواء أقبية ترتكز مباشرة على واجهة الحونيت وذلك في الأسواق التي يتسم الممر الرئيسى بها بأنه ضيق غير متسع ومن هذه الأسواق سوق الرباع القديم وسوق القويعة، أو أقبية ترتكز على بائكات جانبية تتقدم صفوف الحوانيت وهذه البائكات لها وظيفة معمارية تقوم بتقليل المساحة الأرضية المخصصة للتغطية بالأقبية حتى يتمكن المعمار من تغطية هذه المساحة المطلوبة بالقبو وذلك بشكل ناهض حتى يتضمن له البقاء والاستمرار عكس لو لم يلجأ إلى ذلك الحل المعماري لما تمكن من التغطية بالقبو، ولو استطاع سوف تصبح أقبيته ضحلة قابلة للسقوط والتهدم سريعًا.

ومن الفوائد المعمارية أيضا لهذه البائكات تخفيف الأحمال العلوية لبضع الأرباع السكنية التي وجدت فوق أجزاء من هذه الأسواق المغطاة مثل سوق الرباع القديم. وهذه التغطية المقبية من شانها تسهيل إزالة وتصريف مياه الأمطار والحماية من شمس الصيف ، ولكنها عملت أيضا من جهة أخرى على تقليل الإضاءة داخل هذه الأسواق ولكن المعمار قام بفتح مجموعة من المناور وهى مساحات مربعة في هذه الأقبية ثم وضع أعلى هذه المناور فوانيس يفتح بها نوافذ ومن ثم يستطيع التحكم فيها بالفتح أو بالغلق وهذه الفوانيس تعمل بالتالي على إضاءة وتهوية المكان من جهة أخرى حيث تقوم فتحة الملاقف بتجديد دورة الهواء داخل هذه الأسواق المغطاة ويأتي إغلاق هذه الفوانيس بنوافذ من باب حماية السوق من دخول مياه الأمطار إلى داخل السوق.

وهناك عنصر ساعد على بقاء واستمرار هذه الأقبية وهو أن المعمار كان يدعم هذه الأقبية بمجموعة من العقود المستعرضة في باطن القبو لتعطى له تدعيما فضلا عن أقبية الحوانيت التي كانت عمودية على القبو الرئيس ومن ثم تعمل هي الأخرى بدورها على تدعيمه. وهذه التغطية بصفه عامة من شأنها توفير الجو الملائم لكلا الطرفين التاجر والمشترى وإيجاد مكان آمن طقسيا للقيام بالأنشطة التجارية ومن ثم ضمان استمرار هذا النشاط على مدار العام.

وافتقر المعمار الطرابلسى إلى حنكة المعمار المصري في عدم استغلاله الطابق الأرضي لبعض المنشآت التي تفتح أبوابها على الممر الرئيس للسوق مما تسبب في ضياع هذه المساحة التي تشرف بها فضلاً عن أنه ساعد بذلك على محاولة الاستغلال من قبل التجار لذلك المكان وذلك كما في واجهة مسجد محمد باشا (شائب العين) والتي حولت النافذة الثالثة على يسار الداخل للمسجد من المدخل الذي يصيب في المسجد مباشرة إلى حانوت وكذلك الحال في مسجد أحمد باشا القرمانلى استغلت بائكته التي يطل بها الرواق الذي يتقدم المدخل على سوق المشير في عرض البضائع عليها فضلاً عن التعدي على هذا الرواق بإقامة حانوتين في الزاوية الشمالية منه هذا بالإضافة إلى اقتصار أجزاء كبيرة من هذه الأسواق على طابق واحد وهو المستغل كحوانيت وكان من الممكن إنشاء مبانٍ علوية معلقة على هذه الحوانيت كما في العمارة المصرية الإسلامية وربما يرجع ذلك إلى أن هذا الطراز الذي بنى وقفة هذه الأسواق لم يكن في موطنه يعلوه طوابق علوية هذا من جهة ومن جهة أخرى إن ظروف مدينة القاهرة القديمة وضيق المساحات المتاحة هي التي فرضت على المعمار هذه المعالجة.

تخطيط الفنادق

وجاء موقع هذه الفنادق في مواقع مناسبة للقيام بوظيفتها الأساسية فجاءت داخل أسوار المدينة القديمة بجوار الأسواق الرئيسية بل وتفتح مداخلها عليها – من هنا سهل على التجار الإقامة في مكان قريب من الحوانيت المخصصة بعرض الحوانيت فضلا عن استخدام بعض الحواصل في هذه الفنادق لتخزين البضائع، وهى في ذات الوقت قريبة من الميناء الرئيس لطرابلس أي قريبة من البحر ومن ثم تسهيل عملية نقل التجار والبضائع القادمين من البحر وتخزين لبضائعهم لحين عرضها. وجاء تخطيط هذه المنشآت التجارية بشكل يسمح معه بحرية الانتقال والتحرك داخل المبنى، فضلاً عن القيام بوظيفته الأساسية وهى السكن وإقامة التجار وبناء على هذا التخطيط الذي يخدم تلك المتطلبات يمكن تقسيم فنادق مدينة طرابلس والتي عرضنا لها من حيث الوظيفة إلى قسمين أو نمطين قسم مخصص للسكنى والإقامة فقط وقسم مخصص للسكن والتجارة.

القسم الأول:

فاتسمت وحداته بالقصور على الناحية العملية فقط من حيث تأديته لهذه الوظيفة فجاءت المداخل صغيرة مباشرة ويغلق على هذه المداخل أبواب خشبية صغيرة من دلفتين وهى مرتبطة بالوظيفة القاصرة على دخول وخروج أشخاص فقط وتفتح على دهاليز طويلة ضيقة ثم جاءت الصحون بالرواق المحيط بها والبائكة ومن خلف الرواق توجد المساكن والتي تتسم بأن مداخلها يجاورها نوافذ لاسيما للمساكن التي ليس لها أشراف على الواجهات الخاصة بالفندق وتقتصر هذه المساكن أحيانًا على طابق واحد كفندق مادي الحسبان أما بالنسبة للدهليز المنكسر الموجود في فندق بعيشو فهو جديد وذلك لكون الفندق قد أصابه الكثير من التعديلات التي غيرت تخطيطه لاسيما مدخله ومن ثم هذا الانكسار لا يعود لفترة الإنشاء وإن كنت أرجح أن وظيفته اقتصرت على السكن والإقامة فقط وذلك لصغر حجمه.

وقد اختزل الرواق الأرضي في فندق الغدامسى لصغر مساحة الصحن ونفس الأمر في فندق سيالة وهذه الاختزالات لعنصر الرواق الأرضى ببائكة وهو أحد العناصر الإنشائية المهمة في تخطيط الفنادق جعل المعمار يفكر في حلول معمارية بديلة لتأدية نفس وظيفة هذا العنصر المختزل فما كان منه إلا أن جعل الممشى العلوي مقتطعًا من المساحة المخصصة للمساكن ومن ثم جعل واجهته المشرفة على الصحن بالبائكة تأتى على حافة جدران الصحن الأربع وذلك كما في فندق سيالة أو أن يجعل هذا الممشى معلقا بين

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449



ضلعيين بحيث يمكنه من أداء وظيفته وهى الوصول إلى المساكن العلوية وذلك هو الذي نفذه في فندق الغدامسى.

القسم الثاني:

وهو المخصص للسكن والتجارة فيتميز بمداخل كبيرة متسعة ميزها المعمار بأن جعلها معقودة بعقود نصف دائرية كبيرة ويهتم بواجهتها فيزخرفها بزخارف مختلفة ومداخل هذا القسم يتميز بأنها تكاد تتفق في هذه الهيئة المعمارية ويغلق على هذه المداخل أبواب خشبية ضخمة والتي من شأنها زيادة تحصين المكان وقت إغلاقه لتأمين ساكنية وما يوجد به من البضائع ومن ثم تتسم بالصلابة حيث تصنع من كتل خشبية قطع واحدة تشد إلى بعضها البعض عبر عوارض خشبية داخلية ويخلو هذا النوع من الأبواب عادة من الإطار الخشبي الذي تغلق عليه الضلفتان ويغلق كلا المصراعين أو الضلفتين بكلاليب حديد خاصة تصنع محليا لهذا الغرض يثبت إحداهما بطرف المصراع من جهة الجدار والأخرى على شكل حلقات مثبتة في البناء والكلاليب تعمل عمل المفاصل التي بواسطتها يتم تحريك المصراعين وظهر عنصر الخوخة وهو الباب الصغير في أحد مصراعي هذا النمط من الأبواب وكان يستخدم وقت إغلاق الباب الكبير والذي يصعب فتحه وغلقه كلما أراد أحد أن يدخل أو يخرج للفندق لذلك وجد هذا العنصر في كل أبواب فنادق هذا القسم الخاص بالسكن والتجارة وهذا العنصر من شأنه أيضًا التحكم في دخول ومرور الأشخاص لكونه يسمح بمرور شخص واحد ومن ثَمَّ التعرف على هويته ووجهته ومتطلباته قبل الدخول إلى الفندق وارتبط بكتلة المدخل غرفة تفتح مدخلها على دركاة الدخول وكانت مخصصة للحارس أو الشخص الذي يقوم بمراقبة المكان ومن ثم يكون قريبًا من مدخل الفندق حتى يسهل علية القيام بهذه المهمة وكذلك وجد بالدركاة الدرج الصاعد الذي يؤدى للطابق العلوي كما في فندق الزهر وزميت (الضفايرى)والحواص.

ومن ثَمَّ أضحت هذه المداخل الضخمة التسعة والمعقودة من جهة أخرى علما على وظيفة الفندق الجامعة على الإقامة والتجارة متمثلة في التخزين والعرض والقيام بعمليات البيع والشراء عكس لو كانت هذه المداخل طيقة وتفتح على دهاليز طويلة ومن ثم تصبح هذه الفنادق مخصصة للإقامة والسكن فقط حيث لا تتسع مداخلها إلا للأشخاص دون الدواب التي تحمل البضائع وتفتح هذه المداخل على دركاوات مستطيلة متسعة وذات أسقف مرتفعة تغطى بأقبية حتى تتحمل الأدوار العلوية نتيجة لاتساعها كما يفتح بهذه الدركاة أيضًا مدخل بسلم صاعد للطابق العلوي حتى يسهل للمترددين أو القاطنين الطابق العلوي بسهولة الدخول والخروج دون إعاقة هؤلاء من الشاغلين للطابق الأرضي.

وتفضي هذه الدركاة إلى صحن الفندق وهو صحن كبير حتى تتسع بدواب القوافل وتسهل مهمتها من إنزال حمولتها ، ونتيجة لاتساع هذه الصحون وجدت العناصر المعمارية المرتبطة به وهو الرواق الداير وواجهته المتمثلة في البائكة ومن وراء هذا الرواق توجد الحجرات التي أصبحت هنا كحواصل للتخرين أو حواصل للتجارة ومن ثم لزم جعلها في هذا الطابق. وتتسم حواصل الطابق الأرضي بوجود مداخل فقط لكونها تستخدم للتجارة وأحيانًا تأتى طاقة صغيرة أعلى مداخلها للتهوية. من فنادق هذا القسم فندق الزهر وزميت والخواص الطوبجية. وهذا التقسيم يؤكده هذا الاتفاق المعماري لاسيما في الداخل وأيضًا في التخطيط وتوزيع الوحدات ومعالجة توزيعها داخل المنشأة وهو ما نراه في فندق زميت وفندق الزهر حيث التشابه إلى حد كبير في التخطيط وهو تشابه يحمل معه ترجيح بأن يكون المهندس الذي وضع التصميم واحد وهو تصميم معد وملائم لتلك الوظيفة.

وكذلك تشابه التخطيط والعناصر المعمارية بين فندق الحواص والزهر ويرجح أيضًا أن يكون واضع التصميم واحد. إذن فالتخطيط والعناصر المعمارية لهذا القسم من الفنادق والخاص بالإقامة والتجارة يكاد يكون موحدًا لصالح تأدية الوظيفة المنوط بها. ويمكن إجمال التخطيط العام في اشتمال الفندق على طابقين وواجهة بسيطة يفتح بها في المستوى السفلي مجموعة من الحوانيت التي تشغل ريعها من الدخل الناتج من عملية استجار التجار للمساكن، في الصرف على المنشأة وصيانتها ورواتب العاملين بها.

وبالواجهة مدخل معقود يفضى لدركاة هي مغطاة بقبو متقاطع أو نصف دائري، وعلى أحد جوانب الدركاة يوجد الدرج الصاعد للطابق العلوي، وعلى جانب الدركاة كانت توجد حجرة أو اثنتان تشغل إحداهما لإقامة حارس الفندق والقائمين على إدارته والأخرى تستغل لغرض وظيفي داخل الفندق كبيت للقهوة. وتفضي الدركاة للصحن الأوسط المكشوف الذي يعتبر هو محور التخطيط والذي اتخذ في الغالب الشكل المستطيل ويتوسط بعضها فسقية أو فوارة لاسيما في فنادق السكن فقط. ويحيط بهذا الصحن ثلاث أو أربع جهات رواق يشرق على الصحن ببائكة معقودة بعقود نصف دائرية أو حدودية. وتوخد خلف الرواق الحواصل في الطابق الأرضي والتي لها مدخل تفتح على الرواق، وهى حواصل مقبية سهلة المراقبة والغلق والتهوية.

أما الطابق العلوي فترديد للأرضي حيث استغل سقف الرواق كأرضية للرواق العلوي الذي تطل عليه مساكن هذا الطابق، والذي يطل رواقه على الصحن أيضا ببائكه معقودة بعقد نصف دائري، وتفتح مساكن هذا الطابق على الداخل بمداخل ويجاورها نوافذ وأحيانًا كانت تفتح هذه النوافذ على الواجهات . وكان يغلق عليها حجاب معدني خارجيًا ومصراعان من الخشب داخليًا. كما اشتمل الفندق على المرافق الرئيسية والضرورية مثل بيوت للخلاء، وأحيانًا حمامات صغيرة في بعضها وذلك لكون هذه الفنادق توجد بالقرب من الحمامات العامة في المدينة. وجاء تخطيط بعض هذه الحمامات الملحقة بالفنادق بتخطيط مصغر للحمامات العامة حيث نجد الثلاثة وحدات البارد والدافئ والساخن تتفرع من بعضها البعض

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449



وذلك كما هو الحال في فندق سيالة والطوبجية والبعض الآخر جاء تخطيطها بسيطًا.

أما عن مصدر المياه داخل هذه الفنادق فكانت هي الآبار الجوفية فضلاً عن بعض الأحواض والصهاريج الصغيرة. ويلحق بها كذلك مطابخ ولكن لا يوجد بين أيدينا نص عن كيفية تقديم الطعام للقاطنين في فنادق طرابلس وربما كان يسمح للساكن أن يطهو لنفسه ما يريد أو أن هناك من يعد له الطعام مقابل أجر أو أن يشترى هو الطعام ويقدمه للطبخ لما في بعض فنادق مدينة فاس. كذلك وجد في هذه الفنادق بيوت للقهوة صغيرة كانت تشغل حيزًا من المجار وجانبًا من الصحن، أما فيما يتعلق باصطبلات الدواب من الجمال والجياد فلم يظهر بتخطيطها مساحة خصصت لهذه الوظيفة ومن ثم من المحتمل إن كان لها أماكن خاصة بها خارج منطقة الأسواق وذلك حتى لا يتأذى من مخلفاتها قاطنو الخان لاسيما وأنه يقع بداخل المدينة.

- تنوعت المآذن القرمانلية فظهرت المئذنة الأسطوانية ذات الطراز العثماني، وإلى جانب هذه المئذنة وجدت المآذن البرجية المربعة وكذلك وجدت المئذنة السلم.
- وتميزت مئذنتا جامعى الباشا وقرجي بأن شرفاتهم ترتكز على كوابيل.
- شاع استخدام العقود الحدوية زخرفيًا ومعماريًا.
- استخدمت الأعمدة الحجرية والرخامية المجلوبة من مبانٍ قديمة والمستوردة من الخارج.
- استخدمت التيجان القرمانلية والحفصية.
- استخدمت المنابر الرخامية.
- ظهرت دكك المبلغ في منشآت القرمانليين، وبذلك اختلفت تلك المنشآت عن عمائر المغاربة التي لم تعرف دكة المبلغ.
- مناطق الانتقال المستخدمة في قباب عمائر القرمانليين هي المثلثات الكروية والحنايا الركنية.

وفي إطار دراسة المدارس القرمانلية؛ أوضحت الدراسة أنه على الرغم من ظهور المدارس في مشرق العالم الإسلامي منذ القرن الرابع الهجري؛ العاشر الميلادي، إلا أن انتشارها في بلاد المغرب قد تأخر كثيرًا فظهرت أولاً في ليبيا (المدرسة المنتصرية)، ثم في تونس (المدرسة الشافعية).

- كشفت الدراسة عن شيوع استخدام العقد النصف دائري في المدارس القرمانلية؛ سواء للأغراض المعمارية أو الزخرفية، حيث استخدم في فتحات الأبواب والنوافذ والعديد من الدخلات والحنايا.
- أظهرت الدراسة عدم وجود منبر أو مئذنة في المدارس القرمانلية.
- لم تكن المدارس القرمانلية معلقة على عكس المدارس في القاهرة والأناضول التي كانت معلقة وأسفلها مجموعة من المحلات.
- أوضحت الدراسة أن مدينة طرابلس كانت تتمتع بنهضة علمية خلال العصر القرمانلي، وهو لا يتجاوز عمره ١٢٥ سنة، وخلّف ثلاث مدارس، في حين لم يتبق من القاهرة العثمانية إلا مدرستان وهما السليمانية والمحمودية.
- أوضحت الدراسة وجود نوعين من المدارس في ليبيا إبان العصر القرمانلي، النوع الأول وهو مستقل مثل مدرسة الكاتب، والنوع الثاني ملحق مثل مدرسة الباشا وقرجي، وهي بذلك تختلف عن مدارس القاهرة العثمانية التي كانت مستقلة.
- أظهرت الدراسة أن المدارس القرمانلية لا تشتمل على سبيل يعلوه كُتّاب، وبذلك فهي تختلف مع مدرسة المحمودية والتي كان يوجد بها سبيل يعلوه كُتّاب.
- يلاحظ انخفاض صحون المدارس القرمانلية عن مستوى أرضية الأروقة المحيطة به، وكذلك بالنسبة إلى مساكن الطلاب، وذلك بسبب سقوط الأمطار في فصل الشتاء حيث تتجمع مياه الأمطار في الصحن بحيث لا تؤثر على الطلاب في مساكنهم.
- أنشئت أروقة محيطة بالصحن ومسقوفة وتتقدم مساكن الطلاب كي تحميهم من أمطار الشتاء وشمس الصيف.
- أنشئ الضريح خلف جدار القبلة ويتضح ذلك في ضريح قرجي وأحمد القرمانلي.

أوضحت الدراسة أن الزوايا القرمانلية لم تكن زوايا بالمعنى المفهوم وإنما كانت أقرب إلى المدارس ومراكز الثقافة الحكومية، وأوضحت الدراسة أنواع الزوايا القرمانلية.

- فوجدت الزاوية التامة المشتملة على بيت للصلاة وصحن وخلاوٍ وقاعة وضريح مثل (زاوية الباقول ، الباز ، الفطيسي والفواتير السبعة).
- وكذلك وجدت الزاوية دون الضريح مثل (زاوية العرصة والجمعة).
- كذلك وجدت الزاوية دون القاعة مثل (زاوية المحجوب وأبو ماضي).
- استخدمت العقود الحدوية والنصف دائرية والعقد المخموس ، وحملت العقود على أعمدة منقولة من عمائر قديمة.
- ظهرت الدعامات الخارجية بكافة الزوايا.
- انتشرت المئذنة السلم في معظم الزوايا القرمانلية.
- اتضح أن غالبية المداخل في الزوايا مسطحة وغير بارزة، وأغلبها معقود بعقد حدوي أو نصف دائري، وفي أكثر الأحيان يلي المدخل ممر مستقيم.

وأهم ما يلاحظ على العمائر القرمانلية هو استقدام خبرات بنائية وفنية متمرسة من خارج ليبيا، وبعد توافد المهارات الفنية من

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية

ISSN: 2090 – 0449



الخارج أصبحت العمائر الليبية تتميز بأنماط زخرفية، كان المسجد الليبي بدائيا يفتقر إليها وذلك لعدم وجود الخبرات الفنية في البلاد وكذلك تغليب البناة الأوائل للغرض الوظيفي للمسجد، أي أن المسجد أنشئ ليؤدي أغراضًا وظيفية متمثلة في الصلاة، لذلك فلا داعٍ للاهتمام بالجانب الفني والزخرفي فيه.

تأتي في مقدمة تلك الأنماط الزخرفية بلاطات القاشاني وهي من أهم الملامح الفنية لعمائر القرمانليين؛ حيث لم توجد بلاطات القاشاني كنمط زخرفي في أي من المساجد التي تعود إلى ما قبل تلك الفترة، وهذه الزخرفة تنم عن تأثير واضح للأساليب المعمارية والفنية التونسية التي كانت تعتمد هذا النمط في زخرفة مبانيها منذ بداية العصر الفاطمي وحتى يومنا هذا.

وأوضحت الدراسة بعض النقاط بخصوص فنون القاشاني على عمائر القرمانليين؛ نذكر منها:

- ظهور التأثيرات العثمانية على بلاطات القاشاني، وتمثل ذلك في العناصر الزخرفية العثمانية مثل أشجار السرو وأزهار القرنفل وورقة الساز.
- ظهور التأثيرات الأندلسية المغربية من خلال الأطباق النجمية التي زخرفت بعض بلاطات القاشاني.
- ظهور تأثيرات واضحة لفن الباروك والركوكو على أغلب بلاطات جامع أحمد باشا وقرجي.
- تشابُه بعض لوحات القاشاني في جامعي أحمد باشا وقرجي بلوحات موجودة في تونس والجزائر ومصر.

كما تعتبر الزخارف البارزة والغائرة على الجص والرخام والأحجار والأخشاب من الأنماط الزخرفية في عمائر القرمانليين. كما أوضحت الدراسة تنوع مضامين الكتابات على عمائر القرمانليين، فكان منها الأدعية والأشعار إلى جانب اللوحات التأسيسية. تبين من خلال الدراسة أن الزوايا القرمانلية تخلو من الزخارف، وإن وجدت فهي مقتصرة على المحراب والمدخل الرئيسي وغالبًا ما تكون في توشيحتي العقد، وهي زخارف بسيطة التكوين.

- قامت الدراسة بدراسة وتسجيل أسواق وفنادق مدينة طرابلس إبان العصر القرمانلى والتي هدم عدد منها مؤخرا أثناء إعداد هذه الرسالة مثل فندق الغدامسى.
- حصر المنشآت التجارية المتمثلة في الأسواق والفنادق في مدينة طرابلس العصر القرمانلى مع إبراز الخصائص المعمارية المميزة للعمارة التجارية في طرابلس والتي اتسمت في مجملها بأنها صدى لنظيرتها التجارية الموجودة في تركيا لاسيما فيما يتعلق بالأسواق والتي جاء تخطيطها مطابقا لنظيره التركي وهو ما يوضح اتجاه الولاة العثمانين لمضاهة حاضرتهم طرابلس بمقر الخلافة العثمانية.
- عرضت الدراسة لطراز الفندق وهو المكان المحصور لإقامة التجار ببضائعهم وأثبتت الدراسة أن طرازه وتخطيطه جاء تبعا لوظيفته إذا كان مقر سكن فقط لتجار فندق مادي حسان أو مخصصا للإقامة وكما واصل لعرض البضائع وبيعها.
- أثبتت الدراسة العلاقة الوطيدة التي ظهرت في هذه المنشآت التجارية بين المنشأة والظروف المناخية والجغرافية لهذه المدينة سواء من شدة الحرارة صيفا أو البرد القاسى شتاء وهو ما راعاه المعمار في تخطيطه وتظهر الأسواق المغطاة بالأسقف الخشبية وأيضا الاقبية النصف إسطوانية والأقبية المتقاطعة، وهى معالجة من شأنها توفير الجو الملائم للبيع والشراء بين التاجر والمشترى وجعل هذه الأسواق نقاط جذب للمترددين عليها.
- توصلت الدراسة إلى معرفة التخطيط الأصلي لبعض الفنادق رغم ما طرأ عليها من تعديلات جوهرية وذلك في ضوء العديد من الشواهد المعمارية لما هو متمثل في فندق الطوابجية، بعيشوا والزهر.
- أضافت الدراسة طرازًا جديدًا للفنادق والتي اتسمت بوجود أكثر من صحن كما نراها في فندق العدلونى وهذه الظاهرة وجدت أيضًا في مصر كما في وكالة عبد الباقي شوربجي.
- أثبتت الدراسة العديد من التأثيرات الأندلسية والتي جاءت إلى طرابلس عبر هجرة الصناع الأندلوسيين والتي أصبحت من قبيل المورث وليس التأثير المباشر من الصانع والتي من أهمها العقد حدوة الفرس والذي جمع في هيئة العقد الحدوى المعتاد والعقد المخموس.
- أثبتت الدراسة طرازًا فريدًا للحمامات الملحقة بالمنشآت التجارية كما في فندق سيالة والطوبجية والتي لم يخرج تخطيطها علن الطراز التقليدي المكون من ثلاث وحدات الباردة والدافئة والساخنة .
- أوضحت الدراسة طرازًا خاصًا بالفنادق والتي خصصت للإقامة والسكن فقط دون النشاط التجاري المتمثل في إيجاد حواصل للبيع والتخزين في دخلة.
- وإنما اقتصر هذا النشاط على مجموعة المساكن التي تحيط بالفندق من جميع جهاته وذلك كما في فندق مادى الحسان.
- أوضحت الدراسة أن طراز الأسواق المغطاة بهذا التخطيط إنما هو طراز تركي عثماني عرفة المعمار الليبي مع الفتح العثماني لهذه البلاد وهذا الطراز من المنشآت عرف هناك باسم البادستان والأراستا.
- أوضحت الدراسة الطرز المختلفة للتسقيف سواء بالأقبية أو الأسقف الخشبية مع إبراز ملامح هذه التغطية وطريقة تنفيذها.
- أثبتت الدراسة العلاقات التي قامت بين مصر وليبيا لاسيما العصر العثماني وهو ما تؤكده الألقاب في البلدين والتي كثير من بينها اللقب الطرابلسي نسبة إلى مدينة طرابلس والمصري،

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

وأكدتها في صور الأدلة والآثار كما تعكسه التطابق بين الفندق المغربي والوكالة المصرية من حيث المصطلح وأيضًا الوظيفة، والتقارب الشديد من حيث التخطيط.

- أكدت الدراسة العلاقات المتبادلة بين مدن الشمال الإفريقي وبين طرابلس حيث لم تقتصر التجارة على السلع والمنتجات المختلفة وإنما شملت أيضًا بعض العناصر الإنشائية كالأعمدة الرخامية والتي كانت تستورد من تونس والتي لها طرازها الخاص والمتسم به تاجه والذي هو عبارة عن شكل ناعقد يبرز من منتصف كل ضلع بروز مستطيل، وأصبح هذا الشكل علمًا على الدولة التي انتشرت في عصرها وهي الدولة الحفصية ومن ثَمَّ اشتهر التاج الحفصي.
- كما أوضحت الدراسة اقتراب تخطيط الفندق من تخطيط البيوت الإسلامية (الأحواش) بطرابلس والذي يعتمد تخطيطها أيضًا على صحن مكشوف تكتنفه من الجهات الأربعة وحدات بنائية بطابق أو بطابقين، لذلك يصبح بعضها عرضه لتغيير الاستخدام لاسيما البيوت القريبة من الأسواق التي تشهد على مر العصور توسعًا بسبب تزايد النشاط التجاري فتتحول البيوت التراثية القديمة إلى مخازن وفنادق تؤجر للسكن والأمثلة على هذا النوع في المدن العربية كثيرة بل لا يحددها الحصر، ويقترب كذلك تخطيط الزوايا المشيدة في ليبيا خلال العصر العثماني من فنادقها لأنها تؤدى في بعض الأحيان الوظيفية إذ شملت وظيفة الزاوية النواحي الدينية والتعليمية والسكنية.

كما تعرضت الدراسة للتبادل العلمي والثقافي بين ليبيا وتونس وأثر ذلك على العمارة والفنون.

توصيات الرسالة:

يوصي الباحث بالآتي:

(١) إعادة بلاطات القاشاني إلى أماكنها في جامعي أحمد باشا وقرجي بدلاً من وجودها في المخازن.

(٢) ترميم عمائر القرمانليين بشكل علمي وعدم تركها للأعيان والأثرياء لترميمها بمعرفتهم.

(٣) نظرًا للنقص الشديد في الدراسات البحثية والتحليلية الخاصة بالآثار والفنون الإسلامية في ليبيا ينبغي وضع برنامج علمي مشجع للدارسين للبحث في هذه الموضوعات وذلك من خلال عمل بروتوكولات بين جامعات مصرية وليبية.

(٤) ضرورة الاستعانة بالخبرات المصرية والمغاربية لترميم المباني الأثرية الليبية.

علمية. عالمية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

